سلسلة كتاب العميد

( ١٠ )

# الأديان
# مشروع حياة طيبة

الاديان مشروع حياة طبية.-الطبعة الاولى.-كربلاء، العراق : العتبة العباسية المقدسة، مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات، قسم النشر، ١٤٤٤ هـ = ٢٠٢٢.
٩٦ صفحة ؛ ٢٤ سم. (سلسلة كتاب العميد ؛ ١٠)
يتضمن إرجاعات ببليوجرافية
1. الديانات-تاريخ.أ. العنوان.

**LCC : BL80.3. A39 2022**
**مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة**
**فهرسة اثناء النشر**

**رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٣٧٠٤) لسنة ٢٠٢٢**

**ISBN: 978-9922-680-27-9**

**العنوان:**الأديان مشروع حياة طيبة

**النَّاشر**: العتبة العبَّاسية المقدَّسة – مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات – قسم النشر

**الإشراف العام** : أ.د. شوقي مصطفى الموسوي

**المتابعة والتنفيذ**: رضوان عبد الهادي السلامي – م.م.ضياء محمد حسن

**الادارة الفنية**: م.م علي رزاق خضير

**الإخراج الطباعي**: احمد نعمة

**تصميم الغلاف**: علي طالب

**عدد النّسخ**: ٢٥٠

الطبعة الأولى

١٤٤٤هـ – ٢٠٢٢م

حقوق النَّشر والتَّوزيع محفوظة للعتبة العبَّاسية المقدَّسة

مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات.

**الرمز البريدي للعتبة العباسية المقدسة**: ٥٦٠٠١

**رقم صندوق البريد (ص.ب)**: ٢٣٢

بسم الله الرحمن الرحيم
﴿ وَلْيَعْفُوا
وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللهُ
لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾
صدق الله العلي العظيم
سورة النور، الآية: ٢٢.

كلمة المركز .....٩

حوار الأديان حبل النص وغارب القراءة ..... ١١

ملخص البحث ..... ١٢
المبحث الاول : ..... ٢٠
الحوار من الفهم الى الغاية..... ٢٠
منهج الحوار وغايته..... ٢٢
المبحث الثاني ..... ٢٦
التعددية الانواع والضوابط والتفسير في ضوء القرآن الكريم .....٢٦
انواع التعددية.....٢٧
آليات التعددية وضوابطها .....٣٥
المبحث الثالث:.....٤١
الآخر في النص القرآني بين القبول والإحتواء.....٤١
الخاتمة .....٤٩
الهوامش.....٥٣
المصادر.....٥٩
التسامح الفكري من منظور إسلامي.....٦١
ملخص البحث .....٦٢
المقدمة .....٦٣
الهوامش : .....٧٢
روافد البحث .....٧٤

التعددية الدينية المفهوم والاتجاهات.....٧٦
ملخص البحث.....٧٨
المقدمة .....٧٩
أولا- دلالة التعددية في البحث الديني .....٨٠
ثانياً ـ الاتجاهات في تحديد الحقّ والنجاة.....٨١
ثالثاً ـ التعددية الدينية عند جون هيك .....٨٦
ثالثاً ـ التعددية الدينية عند سروش ..... ٨٨
الخاتمة : ..... ٩١
الهوامش: ..... ٩٢
المراجع:.....٩٦

## كلمة المركز

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد النبي الصادق الامين، وعلى اهل بيته الهداة الميامين، وصحبه المنتجبين، والمهتدين بنور الهدي المحمدي الاصيل الى قيام يوم الدين وبعد ..

ترتسم معالم جديدة من آفاق البحث العلمي الرحيب في كل اصدار جديد لقسم النشر في مركز العميد الدولي ، وتغدو رحلة انجاز كتاب جديد ضمن سلسلة كتاب العميد اكثر يمناً وتوفيقا كلما ازداد استشعار القائمين على هذه المجلة لحقيقة ان ماهو كائن ماكان ليكون لولا ان كل جهد يبذل هنا – مضمخ بعبق هذه المنازل الميمونة لاهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة ومحال العلم والمعرفة والحقيقة .

يصدر هذا المؤلف من قسم النشر ضمن سلسلة كتاب العميد التي تعتمد ملفات بحوث مجلة العميد والامة الاسلامية والعالم بأسره يقاسيان محنة الارهاب بوجهه المأساوي الكالح وبمقولاته الاقصائية المتطرفة، لذا تغدو للكلمة المحاورة والفكرة التي تدار بمسؤولية ومحبة تغدو لها رسالة انسانية واعية واعدة.

وإذا كان لامرئ ان يأسف اسفاً بالغاً على شئ ما، فانما يأسف لان الارهاب ذو لبوس ديني، يغض طرفه عن سبيل التسامح والاخاء والانسانية التي تبشر بها الاديان السماوية. ولعل هذا ماحدا بالقائمين على قسم النشر على ان ينجزوا موضوعاً خاصاً في هذا الاصدار عن حوار الاديان والذي جاء بعنوان (الاديانُ.. مشروعُ حياةٍ طيبةٍ)متضمناً ثلاثة ابحاث تعنى كلها بفكرة الحوار بين الاديان، وهي: حوار الاديان: حبل النص وغارب القراءة والتعددية الدينية.. المفهوم والاتجاهات، والتسامح الفكري من منظور

اسلامي . إنَّ أبحاث كتاب العميد الحالي بقدر ما تضع اليد على مواطن الوجع التي تنجم عن الفرقة والتركيز على قراءة الآخر قراءة سالبة، فإنها تستشرف غداً إنسانياً كريماً يرتفع فيه صوت المحبة صادحاً متألقاً في سماء الانسانية، الانسانية التي تعيش ألماً وتستشرف أملاً. أما سائر أبحاث العدد فتنحو منحاها المعتاد في تنوعها واشتمالها على حقول معرفية متنوعة.

ومن الله التوفيق ..



مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات
قسم النشر

# حوار الأديان حبل النص وغارب القراءة

أ.د. عادل نذير بيري
جامعة كربلاء
كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية

## ملخص البحث

الحوار ملمح اسلوبي وسلوكي رافق الانسان في فعله وقوله ، وقد ولد الحوار مع الانسان ليكون معادلا موضوعيا للجدل بلحاظ تباين الغايات اذا وقفنا على معاني كل منهما – اعني الحوار والجدل – وقد جرت العادة ان يتعامل الانسان مع مشاكله ولاسيما الفكرية على اساس من الجدل يقول تعالى ((ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الانسان اكثر شيئا جدلا ))[1] . ولذلك يؤثر الحوار على غيره بوصفه اجراءً تواصليا مع الاخر للوقوف على متبنياته الفكرية واستيعابها على نحو يكفل للكل حرية الاختيار.

ولم ينفق الانسان من وقته وجهده – في كثير من القضايا الفكرية ولا سيما الدينية – كأنفاقه للوقت والجهد على مثل القضية الدينية، تلك القضية التي تنظم العلاقة بين الخالق والمخلوق ، وقد خص الله سبحانه وتعالى البشرية بسلسلة من الديانات السماوية، وبقائمة طويلة من الانبياء والرسل يوضحون المقاصد الالهية التي تضمنتها النصوص السماوية المرافقة لتلك الديانات حتى كان القرآن الكريم اخر النصوص السماوية المحفوظة لفظا ومعناً، وكان النبي محمد ﷺ خاتم الانبياء والرسل .

وتركت تلك الديانات اثرها في البشرية فتبعها من تبعها وانقلب عنها من انقلب حتى صار لكل دين امة تحفظ النص وتدافع عن معانيه المشرعنه لما تمسكت به، وانصرف المتخصصون بالبحث الديني في كل امة يتبارون في تبيان احقية ما جاءت به الاديان فضلاً عن الافضلية على سائر الاديان ليحتفظوا بالعقد الذي تنتظم به افراد الامم المؤمنة بتلك الديانات. غير ان الامر لم يقف عند ذلك الحد اذ تشضت تلك الجماعات الى فرق وطوائف انبرى كل منها ليتجاوز مرحلة تفسير النصوص الى اعادة قراءتها على نحو يخدم التوجه الذي ارادوه.

ومن هنا ولدت المحنة بين النص بوصفه حبلا سماويا ممدودا من السماء الى الناس ليعتصموا به وصولا الى حيث يريد الله سبحانه وتعالى ، والقراءة بوصفها غاربا يلقي عليه المتلقي النص لينفلت الى المعاني التي يريد لا المعاني التي ارادها الله سبحانه وتعالى وارسل بها الانبياء والكتب السماوية ولا سيما القرآن الكريم .

ولذلك يسعى هذا البحث الى تأسيس وعي لثلاثة مفاهيم يجب ان يعيها من يريد ان يلج مضمار حوار الاديان، وقد تضمن القرآن الكريم تلك المفاهيم، فلا غرابة اذا توكأ البحث على القرآن بوصفه الحبل النصي المتين الذي يجب ان نتذرع به في فهم اولويات الحوار اولا وبعض الحقائق الحتمية ثانيا. وعليه انقسم البحث – سعيا لذلك– على المطالب الاتية:

- مفاهيم اولية
- الحوار من المفهوم الى الغاية
- التعددية : الانواع والضوابط والتفسير في ضوء النص القرآني
- قبول الاخر بين الاحتواء والقبول في ضوء النص القرآني

**مفاهيم اولية**

تقتضي طبيعة البحث التجوال في مجموعة من المصطلحات التي تضمنها العنوان لكي نحقق نقطة شروعٍ واضحة المعالم لمن يريد قراءة البحث، وبهذا فأننا نُعمل اقلامنا بتلك المصطلحات بوصفها مفاهيم اولية ينطلق منها البحث وهي على النحو الاتي :

**١ .الاديان :**

جمع دين وفي لسان العرب [٢] الدين هو الطاعة والانقياد . ومن الدين تأتي لفظة ديان وهي من اسماء الله الحسنى و تتضمن معاني الحكم والقاضي والقهار . ويوم الدين هو يوم الجزاء اي يوم الحساب . وقد يأتي الدين بمعنى الحساب يشهد على ذلك القران اذا يقول تعالى ((الرحمن الرحيم ،مالك يوم الدين))[٣] ، (( وقالوا ياويلنا هذا يوم الدين))[٤]، (( وان عليك لعنتي الى يوم الدين))[٥]، ((وما ادراك ما يوم الدين))[٦] واذا

كان الدين في اللغة يعني الطاعة والانقياد فهو في عموم الاصطلاح ما يعتنقه الانسان ويعتقد بهِ من امور الغيب والشهادة ، وقد يطلق على ((مجموعة من الأفكار والعقائد التي توضح بحسب معتنقيها الغاية من الحياة والكون، كما يعرّف عادة بأنه الاعتقاد المرتبط بما وراء الطبيعة الإلهيات، كما يرتبط بالأخلاق ))[٧]. وفي الاصطلاح الاسلامي يطلق الدين على وضع الهي يسوق ذوي العقول الى قبول ما هو عند رسول الله ﷺ وعند الفلاسفة يسوق ذوي العقول الى الخير[٨]

ويحف بمصطلح الدين مصطلحان هما (الملّة) و(المذهب) جرى تمييزهما عن ( الدين) اذ ان الشريعة من حيث انها مطاعة تسمى دينًا ومن حيث انها جامعة تسمى ملّة ومن حيث انها يرجع اليها تسمى مذهبا ، وقيل[٩] : الفرق بين الدين و الملّة والمذهب ، ان الدين منسوب الى الله تعالى ، وان المذهب منسوب الى الرسول ، والمله منسوب للمجتهد وكثيرا ما تستعمل هذه الالفاظ في سياقات بعضها البعض، ولهذا قيل انها متحدة بالذات ومتغايرة بالاعتبار ويطلق لفظ الدين على الشريعة وهي السنة اي ما شرعه الله تعالى الى عباده من السنن والاحكام وللفظ الدين في الفلسفة الحديثة معانٍ عدة[١٠] :

- الدين جملة من الاعتقادات والافعال الحاصلة للنفس من جراء حبها لله سبحانه وتعالى وعبادته اياه وطاعتها لأوامره

- الدين هو الايمان بالقيم المطلقة والعمل بها كالإيمان بالعلم او الايمان بالتقدم او الايمان بالإنسانية

- الدين مؤسسة اجتماعية تضم افراداً يتحلون بالصفات الاتية :

أ-قبولهم لبعض الاحكام المشتركة وقيامهم ببعض الشعائر

ب-ايمانهم بقيم مطلقة وحرصهم على توكيد هذا الايمان وحفظه

ج-اعتقادهم ان الانسان متصل بقوة روحية اعلى منه مفارقة لهذا العالم او سارية فيه

ويمكن اجمال مميزات الاديان كافة بعدة نقاط :[١١]

- الايمان بوجود الله تعالى بوصفه خالق للكون والعالم المتحكم بها وبالبشر والمخلوقات كافة
- تمييز بين عالم الارواح وعالم المادة
- وجود طقوس عبادية يقصد بها التوجه الى الله تعالى
- الصلاة بوصفها الوسيلة الاساسية للاتصال بالخالق واظهار الخضوع
- رؤية كونية تتضمن شرح كيفية الخلق وتركيب السماوات والارض والية الثواب والعقاب
- مبادئ شرعية لتنظيم حياة المؤمن وفقا للرؤية الكونية التي يقدمها الدين

**٢. النص**

ورد في لسان العرب[١٢] لابن منظور في مادة «نصص» ما يأتي :

( نصص : النصّ رفعك الشيء . نص الحديث ينصه نص. : رفعه . وكل ما ظهر فقد نص .وقال عمرو بن دينار : ما رأيت رجلا أنص للحديث من الزهري اي ارفع له وأسند. ويقال : نص الحديث الى فلان اي رفعه ، وكذلك نصصته اليه . وأصل النص أقصى الشيء وغايته )

وقد جاء في بعض المعاجم[١٣] : النص صيغة الكلام الاصلية التي وردت من المؤلف. والنص ما لا يحتمل الا معنى واحداً ، او لا يحتمل التأويل ، ومنه قولهم : (لا اجتهاد مع النص) والنص عند الاصوليين: الكتابُ والسُّنّة

فالنص صيغة الكلام الاصلية التي وردت من المؤلف ، وعندما نقول نص الحديث كذا نقصد متنه دون سلسلة السند ، وحين نقول نص شعري نقصد القصيدة كلها وقولنا نص نثري فقد يكون النص من كتب التاريخ القديمة وعليه يكون مفهوم النص كلام المؤلف من دون تحديده بجنس الشعر او النثر ويرى (لوتمان ) ان تحديد النص يعتمد على[١٤]:

- التعبير يتمثل في علاقات محدده تختلف عن الابنية خارج النص
- التحديد لازم للنص يقوم في جميع العلامات المتجسدة ماديا التي لا تدخل في تكوينه

- الخاصية البنيوية النص لا يمثل مجرد مجموعة علامات تقع بين حدين فاصلين ، فالتنظيم الداخلي الذي يحيله الى مستوى متراكم افقياً في كل موحد لازم للنص ، وبروز البنية شرط اساس لتكوين النص .

فان النص الذي يتوكأ عليه هذا البحث نريد به القران الكريم وسنة النبي محمدﷺ وسيرة اهل بيته المعصومين عليهم السلام .

لقد عرض المعنيون* بـ (النص) مفهومه من زاويتين :

الاولى حدّته بوصفه مجموعة خطية من العلامات اللغوية، والثانية حدته بوصفه مجموعة مركبة من العلامات . والاتجاة الاول يرى النص سلسلة من العلامات اللغوية المنتظمة في شكل خطي تهدف الى احداث اثر معين او انتاج دلالة مخصوصة . وذهبوا الى ان النص يبدي تجليين مختلفين في الوقت ذاته ، فهو بناء وتفكيك، وعملية البناء تتمثل في صياغته لبنيته الخاصة في ضوء اللغة التي تستلهم بنيتها ومنظومتها من النموذج الثقافي في حقبة زمنية معينة . وعملية التفكيك يقوم النص في ضوئها بتفكيك البنية النصية الموجودة ليطرح خصوصيته بوصفها تنويعا للبنية السابقة او تجديدا لها.

**٣- القراءة**

القراءة في مفهومها التقني[١٥] هي كل نشاط لغوي يقوم به الانسان بقلبه او بجوارحه فتشمل القراءة بالقلب والعين واللسان والاذن واللمس . غير ان ما نحن بصدده من مفهوم يرتبط بنظرية التلقي التي رافقت الفكر النقدي المعاصر ولذلك كان لها تعريف يقترب ويبتعد من مفهوم التفسير الذي رافق النص القرآني .

فالقراءة ببعدها الادبي تتم عبر اعادة بناء علاقات النص بقرائه المتعاقبين انطلاقا من الحاضر اي وضعه في سياق زمني يتيح التغلب على المسافة الزمنية التي توجد بين الحاضر والماضي ومن هنا تأتي الفرصة لمد جسور الحوار والتواصل والاستئناس بقراءات الاوائل واستثماراتها في فهم حدود المعنى في النص [١٦].

ويرى ( كدامير ) ان فعل القراءة يرتكز على ثلاثة مراحل وهي : الفهم والتأويل والتطبيق ويعني بالفهم كل الاحكام المسبقة في وعي المؤول وهو يواجه النص لقراءته. اما التأويل فهو الوجه الجلي او المحك الفعلي المسؤول عن عرض صلاحية تلك الاحكام ( التي يتضمنها الفهم ) مع معطيات النص او عدم صلاحيتها ( وبطبيعة الحال فإن هاتين المرحلتين تنتميان الى الافق الحاضر الذي يعيش فيه المؤول ، ومعنى ذلك ان فهم النص فهما شاملا لن يكتمل الا اذا انتقل المؤول الى مرحلة التطبيق ليستعيد من خلالها المعاني التي أسندت الى النص نفسه في افاق تاريخية تتضمن تأويلات الاخرين وقراءتهم ، يستخلص منها ما يلائم افقه الراهن . وبهذا المعنى يصبح النص الادبي وغير الادبي قابلا للتحيين والتطبيق في احوال وازمان مختلفة ، وقابلا لان معاني جديدة بحسب الوضعية التاريخية للمؤول وأحكامه المسبقة ، وقد استثمر ياوس هذه الافكار والآراء النقدية سواء في كتابه « نحو جمالية للتلقي» أو في كتابه « نحو هيرمينوطيقا أدبية » حيث ركز في كتابه الاخير على ثلاث مراحل لتأويل النص الادبي ، على غرار المراحل الثلاث التي ارتكز عليها فن الفهم عند كدامير[١٧] ، وهي :

١ . القراءة الجمالية أو افق الادراك الجمالي وفيها يقوم القارئ بإنجاز فهم متدرج لشكل العمل المدروس او بنيته

٢.القراءة التأويلية او افق التأويل الاسترجاعي وفيها يبرز القارئ الافق السابق عن طريق بناء احد المعاني الممكنة

٣.القراءة التاريخية او افق التطبيق ويعيد القارئ النص فيها ، بأعتباره مؤرخا ، بناء افق انتظار القراء الاوائل ومراجعة افاق القراء المتعاقبين .

اما مفهوم القراءة في الدراسات القرآنية الحديثة فقد اتخذ اجراء تحليليا للوقوف على مساحة واسعة من المفاهيم القرآنية التي اذا ضبطت ضبط الدين اذ ان بناء المفاهيم ضرورة حضارية وفرض من فروض الكفاية الذي اذا لم يقم به احد اثم الجميع. فالمفاهيم القرآنية

ليست الفاظا كباقي الألفاظ البشرية انها مستودعات كبرى للمعاني والدلالات وقد تتكثف في مفهوم واحد ثقافة كاملة او حضارة كاملة او تاريخ بأجمعه[١٨].

وفي الحقيقة يصحب مصطلح القراءة مصطلحان يصبان في الغاية ذاتها ويفترقان في الاجراء، فالتفسير في الاصطلاح الاسلامي يعرفه ابن جزى ( ت ٧٤١) بانه شرح القران، وبيان معناه، والافصاح بما يقتضيه بنصه او اشارته ، او بنحوهما[١٩]. ويعرفه الجرجاني (ت٨١٦) بانه توضيح معنى الآية وشأنها وقصتها والسبب الذي نزلت فيه بلفظ يدل عليه دلالة ظاهرة[٢٠].

ليس من السهل الوقوف على مفهوم محدد لمصطلح القراءة في الفكر الاسلامي المعاصر فهو كما يقول علي حرب (( بات يشمل اي معطى كان ، ويتصدر مفردات الخطاب المتعلقة بالفهم والتشخيص او التقييم والتقدير ))[٢١] وقد اخذ كثير من المفكرين بمصطلح القراءة لأنه حرر فكرهم من جميع القيود المنهجية وسوغ لهم التخمينات وامكانية ربطها بالقران الكريم فتجاوزوا بإجراءات القراءة مخرجات التفسير والتأويل لان التعامل مع القران الكريم بآليه القراءة يجعلنا ازاء عدد غير متناهٍ من المعاني غير ان القراءة عند نصر حامد ابي زيد عملية محكومة بالإخفاء والكشف اذا يقول(( في مقابل النصوص تقف القراءة ايضا محكومة بجدلية الاخفاء والكشف))[٢٢] فهي عملية كشف عن دلالات واخفاء لأخرى بحسب الظرف التاريخي . اما عند محمد الطالبي فالقراءة تعني الاجتهاد غير ان اشاعة مصطلح القراءة في الدرس القرآني هو محاولة لإزاحة مصطلح الفقهاء المتمثل بالاجتهاد والتأسيس للغة الحداثة التي يمثلها مصطلح القراءة[٢٣].

وفي الحق ان فعل التفسير لا يخلو من اجراءات القراءة لأنه يتضمن فسحة الاختلاف التي ينشدها الفكر المعاصر في ثنايا اجراءات القراءة وان كان الاصل في فهم نصوص الشريعة هو الاتفاق والاختلاف جائز عارض ولابد من اسباب تقف وراءه وقد حصر القدماء اسباب الخلاف في التفسير بالاتي[٢٤] :

١- اختلاف القراءات

٢- اختلاف وجوه الاعراب وان اتفقت القراءات

٣- اختلاف اللغويين في معنى الكلمة واشتراك اللفظ بين معنيين فاكثر

٤- اشتراك اللفظ بين معنيين فاكثر

٥- احتمال العموم والخصوص

٦- احتمال الاطلاق والتقييد

٧- احتمال الحقيقية والمجاز

٨- احتمال الاضمار او الاستقلال

٩- احتمال الكلمة الزائدة

١٠- احتمال حمل الكلام على الترتيب وعلى التقديم والتأخير

١١- احتمال ان يكون الحكم منسوخا او محكما

١٢- اختلاف الرواية في التفسير عن النبي صلى الله عليه وآله

وقد يتبادر للذهن سؤال عن سبب اغفالنا لمصطلح الحوار بوصفه احد مفاهيم العنوان التي استعرضناها انفا ، وتكمن الاجابة في انتقالنا الى المبحث الاول من البحث:-

## المبحث الاول

**الحوار من الفهم الى الغاية**

الذي يسعى الى تبني مقولة الحوار في بعدها الانساني على مستوى الثقافات او الاديان او المذاهب عليه ان يتوسل بفهم واضح للحوار يقف عليه لينطلق منه عارفا بحدوده ومدركاً لأسراره ، وعليه فان مفهوم الحوار يبدأ :

لغة (( الحَورُ : الرجوع ... وتحاوَرُوا:المَحوَرة والمَحُورة: الجواب كالتحوير والحَوارِ ويكسر والحيرة والحويرة ومراجعة النطق . وتحاوَرُوا : تراجعوا الكلام بينهم ))

والذي يراقب مفردة الحوار في المدونة المعجمية العربية تتكشف له جملة من المعاني يمكن يحصرها بالاتي[٢٥]:

- (الرجوع) الى الشيء وعن الشيء، والمتحاورون قد يرجع احدهم الى رأي الاخر أو قوله أو رغبة في الوصول الى الصواب والحقيقة ، ومنه قوله تعالى ( انه ظن ان لن يحور) الانشقاق / ١٤، اي لن يرجع مبعوثاً يوم القيامة
- (التحول) من حال الى حال ، فالمحاور ينتقل في حواره من حالة الى أخرى ، فمرة يكون مستفسراً ، وأخرى يكون مبرهناً ، وثالثة يكون مفندا وهكذا .
- (الاجابة) والرد وهو قريب من المعنى الاصطلاحي للحوار ، لان كلا من طرفي التحاور يهتم بالإجابة عن أسئلة صاحبه ، ويقدم مجموعة من الردود على أدلته وبراهينه .
- (الاستنطاق) ومراجعة الحديث فكل واحد من المتحاورين يستنطق صاحبه ويراجع الحديث معه لغرض الوصول إلى هدفه وقصده .
- النقاء والتخلص من العيوب ، والواقع ان طبيعة الحوار والمناقشة تؤدي بالنتيجة الى التخلص من العيوب الفكرية عبر عرض الأفكار المتعددة واختيار الراجح منها . وفي القران الكريم لم يرد لفظ الحوار ، وإنما ورد الفعل (حاور) والمصدر التحاور ثلاث مرات وذلك في المواضع الآتية :

- ((وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا اكثر منك مالاً وأعز نفراً))[٢٦]

- ((قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً ))[٢٧]

- (( قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكى إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير) )[٢٨]

والحوار اصطلاحاً ((نوع من الحديث بين شخصين ، يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة ما فلا يستأثر به احدهما دون الاخر ، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب))[٢٩]

ويقال عنه انه (( مناقشة بين شخصين أو مجموعتين ، او أشخاص أو مجموعات بقصد تصحيح الكلام ، إظهار حجة ، واثبات حق ودفع شبهة ، أو رد الفاسد من القول والرأي))[٣٠] والحوار ((أسلوب يجري بين جهتين يسوق كل منهما من الحديث ما يراه ويقتنع به . ويراجع الاخر في منطقه وفكره قاصدا بيان الحقائق وتقريرها من وجهة نظره .... وكل واحد من المتحاورين في الحوار لا يقتصر على عرض الأفكار القديمة التي يؤمن بها . وإنما يقوم بتوليد الأفكار في ذهنه ، ويعتمد إلى توضيح المعاني المتولدة من خلال عرض الفكرة وتأطيرها وتقديمها بأسلوب علمي مقنع للآخر ، بحيث يظل العقل واعيا طوال (مدة) المحاورة ليستطيع إصدار الحكم عليها سلباً وإيجاباً))[٣١] .

ويحف بمصطلح الحوار مصطلحات اخر مثل المناظرة والجدل غير ان تلك المصطلحات لا تتضمن ما ينطوي عليه مصطلح الحوار من ابعاد ثقافية واجتماعية وسياسية اسهمت في اشاعته ولذلك اتجه الفكر المعاصر الى اعتماد هذا المصطلح وقد تجسد ذلك في الوثيقة الصادرة عن الفاتيكان سنه١٩٦٥ [٣٢]وعرض هذا المصطلح يجعلنا نتمسك بالحوار اسلوبا حضاريا في التعاطي مع الازمات الفكرية والسياسية فضلا عن العقدية التي يمر بها المسلمون في مختلف اصقاع الارض ، وهو ما يفضي بالبحث الى الحديث عن غاية الحوار

في ضوء انواعه التي تتجلى في الحوار الوطني ، والحوار الاقتصادي ، والحوار التربوي ، والحوار الامني ، والحوار السياسي ، والحوار الاجتماعي ، والحوار الرياضي ، والحوار التلقائي وهو اكثر الحوارات التي تجري في حياتنا اليومية فضلا عن مظنة البحث ، الا وهو الحوار الديني وهو حوار يجري بين شخصيات او مؤسسات او مجموعات للتعرف على طبيعة الديانات التي يعتنقونها او المذاهب التي يختارونها ضمن دياناتهم .

**منهج الحوار وغايته**[٣٣]:

يجب ان ينهج المحاور ولا سيما في الدين الى مجموعة ضوابط يتحرك في ضوئها للوصول الى الغاية فتحديد مجال الحوار وتاطيره ضروري لانه يجعل المتحاورين ضمن حدود واضحة المعالم وذلك ادعى الى استغلال الوقت والجهد لكل المتحاورين والاسراع بهم الى المطلوب من الحوار .

على المحاور ان يتحلى بمجموعة من الاجراءات التنظيمية من مثل صحة المعلومات في التعامل ، افراغ الذهن من الاحكام المسبقة والثابته والمواقف الصارمة ، والاستعانة بالمختصين من ذوي الخبرة في مجال الحوار والافادة من المناهج العلمية والمنطقية اثناء الحوار من خلال التفكير والتحليل والاستنباط والبدء بالجزئيات وصولا الى الكليات .

ضرورة التمسك بالمعايير والاسس التي تنطلق من العقل والحقائق العلمية المتفق على التسليم بها ولاسيما اذا كان الحوار بين مؤمنين بوجود الخالق سبحانه وتعالى وهم يتحاورون في قضية تتعلق بالديانات السماوية .

يجب ان ينزع الخطاب في اي عملية تحاورية الى الهدوء والالتزام بالقول الحسن وتجنب التهكم واحترام الاخر يسهم في تفاعل اكثر واطمئنان لما يصدر عن المحاور فيجري الحوار من دون توتر وتعصب.

**غائية الحوار**

وبعد فللحوار غايات وهي في اطارها العام لا تخرج عما يأتي[٣٤] :

- الاتفاق على تفسير واضح يقتنع به المتحاورون في موضوع ما .
- الحوار بأبعاده يجنبنا المواقف المتسلطة من اي جهة كانت فيتخطى المحاور حالة العقم الفكري .
- الشعور بالتكافؤ والمساواة بين الاطراف المتحاورة .
- الوصول الى مبادئ متفق عليها .
- تجنب الانغلاق الفكري.

**حاجة الامة الاسلامية الى الحوار**

الامة الاسلامية اليوم احوج ما تكون للحوار ولكن اي حوار ؟ الحوار الذي بنا حاجة اليه ينبغي ان يتقنن بهدي القرآن الكريم وسنة الرسول ﷺ وسيرة اهل البيت عليهم السلام ، اذ ان الحوار اليوم علم قائم بذاته له قواعد وأساليب ومعطيات وله فنياته واستراتيجياته ولا سيما الحوار القائم على الدليل العلمي ، الاسلام هو دين الحوار المتكافئ القائم على ارادة القيم و ارادة العلم وارادة التعايش بعيدا عن مختلف الاكراهات السياسية والاجتماعية والنفسية والفكرية[٣٥].

اننا نعيش اليوم عصر ازمات اوضحها حضورا ذلك الاحتقان الطائفي الذي نمر به اليوم وهو في اوجه الى الحد الذي استطاع ان يغير ملامح المشهد الديموغرافي لكثير من بلداننا ومدننا التي تعيش فيها مختلف المذاهب والاديان والاعراق منذ ازمنة طويلة .

اليوم الامة الاسلامية يجب ان توجه الى استثمار تلك الطاقات العلمية والدينية الباحثة في نقاط الاختلاف الى البحث في نقاط الاتفاق اننا نشهد موجة من الفضائيات التي تصنع الفرقة بأسم الاسلام الذي كان شعاره وما يزال (( واعتصموا بحبل الله جميعاً ولاتفرقوا)) الفضائيات التي نقرأ في اشرطتها المتحركة ألوانا من الشتائم والتراشق الذي لا يولد سوى

البغضاء والشحناء . ولن يتوقف هذا التفريق الطائفي ما لم تؤمم الانظمة الاسلامية الحاكمة تلك الفضائيات وتستأصل بؤر التمويل الطائفي بكل اشكاله واساليبه.

تعيش الامة اليوم عصر الطائفية الالكترونية التي تسري في المجتمع الاسلامي سريان النار في الهشيم فكثير من مواقع التواصل الاجتماعي اليوم عنواناتها طائفية هذه المواقع تحتاج الامة في إزائها الى مواقع موازية تشيع فيها الالفة والتعايش والحوار المبني على اساس قرآني ونبوي .

في ضوء هذه الخواطر العجلى احسب ان الامة يجب ان تؤمن بالحوار مع النفس أولاً قبل ان تتصدى لتستضيف حواراً للحضارات أممياً أو حواراً للاديان أو حواراً للحضارات، علينا ان نحاور الآخر المذهبي على اساس من المبادئ العلمية للحوار .

هذه المبادئ يجب ان تتقنن في ضوء مشاهد الحوار التي يستحضرها القرآن الكريم والامم و المجتمعات التي خلت ففي القرآن الكريم مشاهد

لحوار الله مع الملائكة

لحوار الله مع إبليس

لحوار الله مع انبيائة

لحوار الانبياء مع ابنائهم

لحوار الانبياء مع نسائهم

لحوار الانبياء مع الطير والحيوان

لمشاهد كثيرة يستوعب فيها القرآن آراء الآخر على مختلف اشكاله من دون ان يبين وجهات نظره مهما كانت مغالية وغير مقبولة بل ويكفل صياغتها على النحو جمالي رائع يقول الدهريون في القرآن الكريم ((وقالوا ماهي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علمٍ ان هم الا يظنون ))[٣٦]

((وقالت اليهود يد الله مغلولة ))[٣٧] وكلام قوله تعالى على لسان النصارى ((إن الله ثالث ثلاثةٍ ))[٣٨] وكلام المنافقين (( أنطعم من لو يشاء الله اطعمهُ إن انتم الا في ضلالٍ مبين))[٣٩] ، فالقرآن الكريم يستحضر رأي الآخر رغم فساده دون ان يبين كلامه ويشوهه ويقطعه، فهو يستحضر الآخر استحضاراً كاملاً يعطيه الفرصة الكاملة لكي يتم نصاً كاملاً او ليتم فكرة واضحة بكل قوتها . ايماناً من الله سبحانه وتعالى بأن القوة ذاتية في الحق حيث دار والضعف ذاتي في الباطل حيث صار ولهذا لا خوف من الحوار ولا إظهار لكلام الخصم . بل في ذاته أكثر دفعاً لاظهار الحق فالحق قوي بما يأتي به من أدلة وما يعرضه من افكار، وقوي بتهافت الرأي الآخر.

وتطول مشاهد الحوار بلحاظ السنة النبوية الشريفة ، وتطول مشاهد الحوار أكثر بلحاظ سيرة اهل البيت ﷺ ، وتطول أكثر وأكثر إذا وقفنا على سيرة الصحابة الصالحين ، وكل ذلك الارث يجب ان نتعاطى معه بوعي وعلمية وتخصصية ومن ثم نقف على المفاصل التي تستوعب الآخر فتستنطقه او تحثه على الرجوع والتحول والاجابة بل تقوده في النهاية الى النقاء والتخلص من العيوب الفكرية .

هذا الامر يزين لنا ان ندعو لايجاد جيل من المبلغين والدعاة يؤمنون بالحوار منهاجاً قرآنياَ ونبوياً في التعاطي مع الازمات واستيعاب الآخر لتحقيق التعايش المنشود على مستوى المذاهب والاديان والاعراق فضلاً عن الحضارات على مختلف مرجعياتها .

واذا ادركنا مفهوم الحوار وغاياته وعرفنا الية تقنينه في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية بوصفه اسلوبا حضاريا وقرآنيا على اعتماده في التعاطي مع ما يوجهنا من عقبات فكرية ولا سيما الدينية منها فضلا عن العقبات السياسية والاجتماعية، صار لزاما علينا ان نلتفت الى حتمية كونية اخرى نعي ابعادها في ضوء النص القرآني وذلك في اظهر دلالته واقربها الى فهم الجميع تلك هي حتمية التعدد في الكون والفكر والاختيار التي سنميط اللثام عنها في المبحث الثاني:-

## المبحث الثاني

**التعددية * الانواع والضوابط والتفسير في ضوء النص القرآني**

التصور الاسلامي للوجود ينطوي على حكمة تقف وراء التعددية في مختلف النواحي الكونية ، فالوجود يقوم على مبدأين اساسيين هما[٤٠] .

**المبدأ الاول : وحدانية الخالق وحدانية مطلقة**

يقول تعالى ((قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد )) فالله في التصور الاسلامي في ضوء ما تقدم من نص قرآني – هو الواحد الاحد الفرد الصمد الذي لم يولد ولم يلد ولم يكن له كفؤا احد ، وصفات الله جميعا تصب في كونه الاوحد فهو الذي لا تدركه الابصار وليس كمثله شيء ونهى سبحانه وتعالى عن ان يكون له اندادا ؛ لانه لا مثيل له .

وعندما ينعت الله نفسه بالوحدانية ، فهذا يعني نفيه لاي احديه في الكون او المجتمع؛ بل ان ما يوجد متعدد قد يصل في بعض الانواع الى مئات الاجناس والاف الصور ، وتشهد على ذلك عشرات او مئات من الايات في كونه الخالق ، وبهذا فان الله سبحانه وتعالى ينفي –بما يترتب على ايات الوحدانية – اي خلق لغير الله ليصبح من ينسب قدرة الخلق : الى غير الله مشركا ، وهو ذنب لا يغفر معه للعبد الا بعد توبته.

**المبدأ الثاني : تعددية الخلق واختلاف المخلوق**

هذا المبدأ هو نتيجة المبدأ الاول ( وحدانية الخالق ) إذ لا يصلح الا بوجود المبدأ الثاني : وهو تعددية الخلق واختلاف المخلوق ، فالإيمان بالتوحيد تتبعه التعددية فيما سواه وتصبح التعددية امراً لازما تقننها الوحدانية الالهية ، وهي – التعددية – ضرورة منطقية امام وحدانية الله سبحانه وتعالى .

وبهذا تكون تعددية المخلوق واختلافه حكمة الهية وضع الياتها بحيث لا يتطرق لها الخلل ، وعليه يكون التوحيد الخالص لله تعالى ، والتعددية المنضبطة انما تكون للمجتمع

وعلى اساس من هذين المبدأين يتجلى التصور الاسلامي لهذا الوجود ، فالله فيما يخص المسلمين – وحده هو الواحد وكل ما دونه متعدد ، فهو واحد في ذاته وصفاته وافعاله، وهو الخالق والمحيي والمميت لا يستحق العبادة غيره ولا تجدر الاستعانة بمن سواه او بأحد من دونه، فتوحيد الله هو جوهر الاسلام واساسه المتين وروح الوجود الاسلامي :((قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً ارباباً من دون الله ))[٤١] والتوحيد هو مهمة كل الانبياء وفي كل الامم (( ولقد بعثنا في كل امة رسولاً ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ))[٤٢]

**انواع التعددية**

كثيرة هي اشكال التعددية في المجتمع ويمكن اجمالها على النحو الاتي :[٤٣]

أ-التعددية العرقية

تتعد الاعراق والاجناس التي تنحدر منها السلالات البشرية ، ويشهد ذلك القران; إذ يقول الله سبحانه وتعالى فيه : (( يا ايها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ))[٤٤] فالعالم شعوب مختلفة تنتمي لأعراق واجناس كلها لاب واحد وام واحدة ، وهنا نكتة خلقية هو اننا نحمل جينة الاختلاف في اصلابنا – وننتمي لرب واحد هو الذي خلقها ، ويصدق ذلك قول النبي في حجة الوداع ، إذ يقول : ( يا ايها الناس إن ربكم واحد، وان اباكم واحد ... كلكم لآدم وآدم من تراب)[٤٥]

فالآية الكريمة وما تشفع به من حديث نبوي تكشف ان الناس جميعاً على اختلاف اجناسهم واعراقهم متساوون في الحقوق الخلقية والواجبات الطبيعية وما خلقهم الله الا ليكونا متعاونين متحابين متواصلين يكفل القوي منهم الضعيف ، ويكفل الغني منهم الفقير ، فلا يطغى جنس على جنس، ولا تطغى منهم طائفة على اخرى ، او طبقة على طبقة .

والتعددية العرقية تعني التنوع البشري على مستوى الاعراق والاجناس كلُ من عند الله ، ولا فضل لاحد على احد طالما كان المصدر الواحد هو الخالق سبحانه وتعالى.

والاعتراف بتعدد الاعراق والاجناس يكفل احترام خصوصيات المجتمعات على اي صورة ارتضتها تلك المجتمعات .

**ب- التعددية الدينية**

وهي التعددية التي تتضمن التعدد في الاديان والعقائد والشرائع والمناهج المتصلة به ، ومفهومها الاعتراف بوجود تنوع في الانتماء الديني في المجتمع واحد او دولة تضم مجتمعاً او اكثر مع احترام هذا التنوع وقبول ما يترتب عليه من اختلاف ، او خلاف في العقائد، وايجاد صيغ ملائمة للتعبير عن ذلك في إطار مناسب وبالحسنى على نحو يحول دون نشوب صراع ديني يهدد سلامة المجتمع .

ومفهوم التعددية الدينية على هذا النحو يقتضي عدم نفي الاخر ويضع العلاقة مع الاخر في ظل مبدأ المساواة التي يكفلها القانون والالتزام بمبدأ حرية التفكير والتنظيم واعتماد الحوار واجتناب الاكراه ، ففي ظل الاسلام لا تلغى الديانات الاخرى ، ولا يحظر وجود سائر الملل فللكافر حرية الاختيار مثلما للمسلم ولا ادل على ذلك من خطاب القران في سورة الكافرون ; اذ يقول تعالى : (( قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد ولا انا عابد ما عبدتم ولا انتم عابدون ما اعبد ولكم دينكم ولي دين )) فلم ينته القران لنفي باقي الديانات وانما ترك الباب مفتوحاً للدين الاخر وحرية الاختيار مباحة .

وعلى اساس من قبول الاسلام بوجود سائر الاديان والاتجاهات ضمن مجتمعه ، وفي ظل دولته ; فإنه يمنحهم الحرية الكاملة في ممارسة شعائر اديانهم والقيام بطقوس عبادتهم، وتنفيذ تعاليمها واحكامها من دون ان يفرض عليهم شعائره واحكامه او يتدخل في اديانهم فلما رأى النصارى الا يباهلوا رسول الله ، فقالوا ( يا ابا القاسم : رأينا ان لا نباهلك وان نقرك على دينك ونثبت على ديننا ، فقال: إذا ابيتم المباهلة فأسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم فأبوا ، قال فإني انا حربكم فقالوا مالنا بحرب العرب من طاقة ولكن

لنصالحك على ان لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا )[٤٦]

وهنا يكفل الاسلام وهو في وضع المنتصر للآخر عدم رده عن دينه وعدم إضافته او غزوه .

ولا غرابة فقد خلق الله الناس مختلفين لكل منهم عقل يفكر به ومنحهم ارادة يرجح بها ، ومنحه ملكات وقوى ومواهب مختلفة على اساسها يختار الناس لا نفسهم ما يريدونه، ولو شاء الله ان يجعل الناس كلهم على التوحيد والايمان كما فطر الملائكة ، ولكن الله خلق من خلقه خلقاً مفطورين على عبادته ((لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون))[٤٧] وخلق الانسان فميزه بالإرادة والاختيار ، ليقرر بنفسه ولنفسه ( فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل عليها ))[٤٨] (( فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ))[٤٩]

فلم يشأ الله ان يجبر الانسان على دين واحد ، ولا على الايمان به بل ترك له الحرية في هذه القضية ، وبعد ان يسر له ادوات التفكير ويبعث له الرسل وانزل له الكتب لتعاونه وتساعده على اختيار الطريق الذي يريد ان يسلكه ، غير انه ترك له الخيار(( ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ولا يزالون مختلفين الامن رحم ربك ))[٥٠] ولان الله خلق البشر متغايرين في الفكر والارادة ، فلا بد ان يتغايروا في الدين يختارونه فيكونوا مذاهب وفرقاً مثلما كانوا اعراقاً واجناساً .

**ج-التعددية المذهبية**

وتعني التعدد المذهبي في اطار الدين الواحد ، ومفهومها يعني بوجود تنوع في الانتماء المذهبي في مجتمع واحد ،او دولة تضم مجتمعا او اكثر لذلك ينبغي احترام هذا التنوع وقبول ما يترتب عليه من اختلاف او خلاف على المستوى الفرد والاصول فضلاً على ضرورة ايجاد الصيغ الملائمة للتعبير عن ذلك في إطار مناسب وعلى نحو يحول دون نشوب صراعات مذهبية تهدد سلامة المجتمع مع الاقرار بأن ( احداً لا يحق له نفي الاخر ) وضمان حرية التفكير والتعبير المذهبي للجميع والمساواة في ظل سيادة القانون[٥١] .

وتجدر الاشارة الى ان تعدد الفرق والمذاهب داخل الدين الاسلامي، وشكل ظاهرة طبيعة بل هي سمة ثابته في الاديان السماوية والوضعية . وقد تكونت كثير من المذاهب منذ بدء القرن الاول للهجرة ، ولم يكتب لبعضها الانتشار ، او يتحقق لها اتباع مما ادى الى انقراضها ، اما الذين تأصلت مذاهبهم وبقيت الى يومنا هذا هم الاخوة السنة بمذاهبهم الاربعة : الحنفي ، والشافعي ، والمالكي ، والحنبلي ، والشيعة وبطوائفهم الثلاث الامامية الاثني عشرية ، والزيدية والاسماعيلية ، فضلاً عن الخوارج ، والمعروف منهم حالياً الاباضية .

وعليه فالتعددية المذهبية ظاهرة طبيعية لازمة في جميع الاديان والعقائد ، ومن الطبيعي ان يكون هناك تعدد في المذاهب طالما كان هناك تعدد في الفكر والتصورات والرؤى .

**د- التعددية اللسانية**

التعددية اللسانية هي من الحقائق الخلقية التي خص الله بها الانسان ، وميز بها الاعراق، فكان من ((آياته خلق السماوات والارض واختلاف السنتكم والوانكم ان في ذلك لآيات للعالمين ))[٥٢].

ولذلك خص الله الاقوام بأنبياء منهم يجيدون لغتهم واساليب مخاطبتهم وكيفية التواصل مع ابناء جلدتهم (( وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم ))[٥٣] وتكلفت الترجمة بتبليغ رسالة القران فيما بعد – العالم ، اي ان تترجم الى لغات تستعملها الاقوام الاخر كي يعرفوا فحوى القران ومبادئ الاسلام ، فحوار الحضارات والثقافات عامل يتفاعل في ضوئه الانسان ساعياً الى تعلم لغة غيره ، وتعليم غيره لغته ، ثم لابد ان نعترف بأن هنالك لغات شتى والسنة مختلفة يتحدث الناس بها ويتخاطبون ويتفاعلون في ضوئها .

ومن مصاديق التعددية اللسانية تعددية اللهجات ضمن اللسان الواحد ، فلم يكن من القران وقد انزل بلغة العرب الا ان يحترم تلك اللهجات في منحاها العام الذي يتساوق وذوق اللسان العربي بما يكفل اعلى درجات الفصاحة فورثنا القران والقرآنية في ضوء

اللهجات العربية وورثنا عن الرسول الله ﷺ ( انزل القران على سبعة احرف كلها شاف كاف )[٥٤] ولا نعدم في القران ان نجد ما يتوافق مع لهجة تميم، او اسد ، او طيء ، وغيرها من اللهجات العربية .

**هـ- التعددية الثقافية**

لما كان التنوع ظاهرة كونية يتجلى في عالم الطبيعة ، فهو لم يحدث صدفة خارج الادارة الالهية ، فالقران والسنة يشهدان على ان هذا التنوع من ظاهر الخلق الكبرى ، فالله تبارك وتعالى هو احسن الخالقين وابدعهم لا بمجرد ايجاد الاشياء ومن العدم بل بإيجادها على هذه الصورة البديعة في تنوعها واختلافها .

وكان من شأن هذا الاختلاف الطبيعي والجغرافي والحيواني والانساني ان يثرى الحياة الانسانية الحياة الانسانية على كل الصعد الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ثم الثقافية وعليه يمكن ان نلتمس في المنظور الاسلامي الاعتراف بالتعددية الثقافية ، ولا سيما وهم يتعددون في اعراقهم ولغاتهم والسنتهم ، ويتعاملون ويتفاعلون بأساليب مختلفة مع كائنات متعددة الالوان ، فلا بد ان يتعددوا في ثقافاتهم في كل الحياة ومفاهيمها ونظمها وتقاليدها وعادات الناس فيها ، هذا ما يقف وراء اختلاف الناس في ملبسهم ومأكلهم ومشربهم ومسكنهم ، فلكل طريقة ولكل شريعة يتحرك في ضوئها فعله الثقافي (( لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ))[٥٥].

والحضارة التي تقوم على لون واحد او شكل واحد تعد حضارة فقيرة ، الحضارة الغنية هي التي تأخذ وتستفيد من الجميع ، وتقتبس من كل ، وهذا ما يجعل التعدد الثقافي ضرورة في نهضة الشعوب .

**و- التعددية السياسية**

وتعنى تعدد القوى والآراء السياسية وحقها في التعايش والتعبير والمشاركة والتأثير في القرار السياسي في اطارها الاجتماعي المنضوية تحته وبذلك فإنها تعني الاعتراف بوجود

تنوع في مجتمع ما بفعل وجهود الانتماء فيه ضمن هويته الواحدة ، واحترام هذا التنوع وقبول ما يترتب عليه من خلاف واختلاف في العقائد والانظمة والمصالح وانماط الحياة والاهتمامات ، ثم الاولويات ، فضلاً على إيجاد الصيغ الملائمة للتعبير عن ذلك كله بحرية على نحو يحول دون نشوب صراع يهدد سلامة المجتمع ، واشتراك جميع فئات المجتمع في هذا الاطار يصطلح عليه تسمية المشاركة السياسية .

وبهذا فالتعددية مفهوم ليبرالي ينظر الى المجتمع على انه متكون من روابط سياسية وغير سياسية متعددة ذات مصالح مشروعة متفرقة ، ثم يتركز الحكم في فئة من دون اخرى ، وهذا ما يساعد على تحقيق المشاركة وتوزيع المنافع [٥٦]

**٤ – تعددية التعددية الدينية**

الكتابات الدينية لجون هيك – الرائد في قراءة التعددية الدينية – تركز على نوعين من التعددية الدينية وهما المعيارية والخلاصية ومال في كل ذلك الى جعل المعيارية تعتمد على الخلاصة المعهودة لدى اتباع الديانات في العالم كافة .

غير ان الدارسين والمتابعين لموضوعة التعددية الدينية لاحظوا ما طوره (جون هيك ) من انواع للتعددية الدينية وكانت على النحو الاتي :[٥٧]

أ-التعددية المعيارية :

وتعني ان على المسيحي ان يلتزم اخلاقياً باحترام اتباع الديانات الاخرى من غير دينهم

ب-التعددية الخلاصية او الإنقاذية:

وتعني المنهجية او الطريقة لغير المسيحين ولا سيما التي تقودهم الى سبل ما لنيل الخلاص المسيحي

ج–التعددية المعرفية ( الأبستمولوجيا ) :

وهي معنية بإشكالية البراءة للمعتقدات الدينية فالمسيحيون ليسوا اوفر حظاً من غيرهم – المتدينين بغير دينهم – في تجسيد الايمان واستيعاب مفهوم البراءة وعليه يمكن

تعريف التعددية الأبستمولوجيا : وهي تلك التعددية القائلة بأن اتباع الديانات الرئيسية في العالم يقفون على قدم المساواة بمقدار ما يتعلق الامر بفهمهم لفكرة البراءة في معتقداتهم الدينية التي اوضح ( هيك ) انها نابعة من التجربة الدينية وتقف على ارضيتها .

د- التعددية الدينية القائمة على الحقيقة :

مذهب يقول بأن الحقيقة الدينية يمكن ان توجد في الاديان غير المسيحية وبدرجة امتداد او سعة لا تقل عن وجودها في المسيحية نفسها .

التفسير البلورالي للتعددية الدينية :

تستند التعددية الدينية في إطارها العام على ظاهرة، يمكن الانطلاق منها لتفسير هذه الظاهرة ، وتلك هي محركات التعدد الديني والمذهبي [٥٨]

أ-الواقعية

فالتعددية الدينية ظاهرة واقعية وحقيقية قائمة لا يمكن تجاهلها لو التغاضي عنها وعن تداعياتها النظرية والعلمية ، وما قوله تعالى : ( لكم دينكم ولي دين ) الا لعلمه سبحانه وتعالى باقية الامور بعد فطر الناس على الاختلاف وهيأ لهم فرص الاختيار لتكون كل نفس بما كسبت رهينة .

ب-الاصالة

لا يمكن ان يكون نظام ديني واحد هو المسؤول عن هذه التعددية اصلية ، ليست اعتبارية فتقبل الاندماج في بوتقة واحدة ، ولا سيما ان المحرك الاول للتعددية هو الواقع ولو كان التعدد اعتبارياً فأن ماله الى نفي ذاته ، فلا يمكن وهذه الحال القبول بإمكانية انصار الاديان في دين واحد .

ج-الاحقية

وعليه فالتعددية الدينية في ضوء ما تقدم مجازة ومقبولة عقلاً ، وليس الاعتراف بأحقيتها وحقيقتها الا من باب الاعتراف بأصالة التنوع الديني ، ثم يكون لاتباع الديانات المتعددة

او المذاهب الاحقية في الارتباط الديني بما هم عليه وعدهم ما يدينون به امراً صحيحاً .

ويقترح المنهج البلورالي اسباباً – تبدو تاريخية – تقف وراء سر التعددية الدينية وهي :[٥٩]

**د- المؤامرة**

فالمؤامرة التأريخية على الدين نفسه هي احدى الاسباب التي يغرى اليها السبب في التعددية ، نحو ما يذهب اليه الشيعة في مسألة الامامة ، او ما يذهب اليه المسلمون فيما يخص الديانتين المسيحية واليهودية ، اي ان هناك مجموعة من هذا الدين ، او ذاك نظمت مؤامرة حرفت الدين عن مساره وحرفته في نصوصه او مضامينه ، فانطلت الخدعة على الباقين وانتقلت عن طريق الاجيال لتتحول الى حقيقة تأريخية .

**هـ- العناد**

وكان عناد البشر من مكامن اسرار التعددية ، ولا سيما تعنتهم امام الحق وعدم تقبلهم لها، مما يستدعي منهم سلسلة من الالتزامات العلمية التي تتعارض مع المصالح الشخصية، ولهذا فهم يصرون على ما هم عليه يمثله ذلك من محافظات على هذه المصالح .

**و- التفاوت**

فتمايز بني البشر وتفاوتهم النسبي للفهم والادراك البشري نتيجة تأثيرات اللاوعي على إدراكهم، ولهذا فهم لا يدركون الحقائق، وإنما يدركون الأوهام التي تضعها عقولهم وافهامهم الفاسدة، وحينئذ فهم يصرون على هذه الأوهام ويتعلقون بها.

**ي- العاطفة**

تأثير العواطف والانفعالات لا يمكن تجاهلها، فهي عند أكثر الناس حاكمة وليست محكومة لعقولهم، ولهذا فهم يتشبثون بأفكارهم ومعتقداتهم لا من موقع تأملي وإنما من منطلق نفسي انفعالي وعاطفي.

**آليات التعددية وضوابطها**

في المجتمع الاسلامي جوهر التعددية الدينية والمذهبية يقوم على الحرية التي لا تعرف حداً او قيداً غير ان لكل مجتمع خصوصية ثقافية ينبغي لها الحرية ألا تنتهي إلى امتهانها أو السخرية منها أو استفزازها ولا سيما تلك الخصوصيات مما تعارفت المجتمعات على احترامها وتقديسها.

لذا، وانطلاقاً من رؤية إسلامية ينبغي أن نعرض لبعض من المبادئ والأسس التي لا يمكم أن تسهم في بلورة منظومة فكرية وعقائدية إسلامية يمكن في ضوئها احتضان الآخر من دون ضغط او تقريح، أو اشعره بالغربة، أو الاغتراب، وتلك الآليات والضوابط لن تكون قيداً وإنما خيار يكفل للمجتمع أن يتألف رغم اختلاف انتماءاته الثقافية ولا سيما الدينية والعقائدية والمذهبية، من ثم التفكير من زاوية الحتمية الوجودية للآخر بوصفه نداً خلاقاً فادراً على العطاء فتضمن بذلك جيلاً يكون على مسافة واحدة من كل الشرائع والملل وله أن يختار فيكون أمام (الله) وحده مسؤولا عن خياره وكل نفس بما كسبت رهينة، ولنترك الصراع للأفكار و الحجج والبراهين، ومصاديق كل ذلك من سلوكيات تنعكس على الأفراد والجماعات على نحو يرسم ملامح ما تنتمي اليه.

ويمكن إجمال تلك الضوابط و الآليات في المحاور الاتية:

- إشاعة ثقافة الاختلاف في ضوء النصوص القرآنية والسيرة النبوية، وسيرة أهل البيت عليهم السلام والصحابة الكرام على نحو يزرع في نفس المجتمع الاطمئنان إلى أن الاختلاف سمة فطرية وإرادة إلهية لا مناص عنها ولا محيص. وبهذا لا يقود الاختلاف الفطرية لزرع بذور التفرقة والشقاق.

فالاختلاف يحتمل الرأي والآخر ولكن الخلاف يضيق بالرأي الآخر، ومن ثم يسد الطريق أمام التعددية الدينية والمذهبية؛ فضلاً عن الفكرية، وهذا من المخاطر التي تتعرض لها التعددية في المجتمعات الاسلامية ت؛ لأنها حديثة العهد بالحرية وكثير منها يؤمن

بالإسلام (قولاً واحداً) وأن الحق ما يراه هو، والآخر نوع من الضلال.

- فإذا لم يلتزم الجميع بآداب الاختلاف ويؤمنوا أن الاختلاف في الفكر لا يثير حفيظة ولا يقتضي عداوة بل انه أمر مطلوب؛ لأن الحقيقة أعظم من ان يستوعبها رأي واحد وأن كل واحد يمسك بشعبة منها، وأن هذا لا يثير عداوة، ولا يبعث على التنديد بالآخرين وأن الفكر والمجتمع هو غير الحساب والرياضة فلا يعني الاختلاف فيه الخطأ والصواب بالمعنى والرياضي، وإنما هو النظر إلى بُعد من أبعاد الحقيقة لم ينظر اليه الطرف الآخر، أو التركيز عل جانب لم يعطه الآخر حقه، وهذا لا يعني أن يتضارب فريق مع الآخر أو يتناقض معه ولكن يكمله[٦٠] . ولها علينا أن تذهب الى الآخر المغلق فكرياً وحتى استبدادياً ببضاعة لينة بسها هضمها لما فيها من مرونة وقد يبدو هذا التوجيه مثالياً غير ان أن القرآن مصدره، فقد أمر الله نبيه موسى أخاه هارون بأن يذهبا الى فرعون وأوصاهما؛ إذ يقول جلّ وعلا (اذهب أنت واخوك بآياتي ولا تنيا في ذكري اذهبا إلى فرعون انهُ طغى فقولا لهُ قولا لينا لعلهُ يتذكرُ او يخشى)[٦١] وتحت مطلب الاختلاف ما يضيق به المقام.

- لما كان(المرء مخبوء تحت لسانه)[٦٢] كما يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فإن الخطاب الديني على ألسنة كثير من الدعاة والعلماء لا يزال متهماً بالماضوية ليس على مستوى الوقائع المشار اليها بل و على مستوى اللغة التي تعجز كثير من الشرائح الاجتماعية الوصول الى معانيها وهي محل اختلاف بين المختصين، لذلك كان الشهيد الصدر الاول، اول من التفت الى تلك الاشكالية في الخطاب الديني ودعا الى ضرورة كتابته بلغة معاصرة قريبة من اذهان الناس ومداركهم المعرفية في عصرنا فجاءت فتاواهُ الواضحة، إذ يقول

- (إن الرسائل العلمية لم تعد بضعها التاريخي المألوف كافية الأداء مهمتها بسبب تطور اللغة والحياة، وذلك ان الرسالة العملية تعبر عن احكام شرعية لوقائع من الحياة، والاحكام الشرعية بصيغها العامة وان اكانت ثابتة، ولكن اساليب التعبير تختلف وتتطور من عصر الى عصر،... فاللغة المستعملة تاريخياً في الرسائل الملية كانت تتفق مع ظروف

الامة السابقة، اذ كان اقراء الرسالة العملية مقصورين غالباً على علماء البلدان وطلبة العلوم الدينية المتفقهين...)[٦٣]

ان ما يمكن قوله ي ضوء ذلك ان المباني النظرية التي تحكم اكثيراً من المفاهيم الإسلامية يجب ان تقرا ثابته باغة العصر كي يستطيع الانسان في ضوئها ان يرسم ملامح نظرية قبول الآخر، وعدم التقوقع على الامثلة القديمة، التي قد تعزز الانغلاق وعدم الافتتاح فضلاً عن الانكفاء الفكري، ثم ارساء اسس علمية اسلامية قد تقود ال آلية جديدة للمفاهيم الدينية على نحو يتلاءم وروح العصر.

- قراءة مبدأ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر قراءة اسلامية جديدة يرسم في ضوئها الموقف الامثل للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيعرف ان دورة ينتهي بمجر الاداء باللسان او القلب.

اما تطبيق ذلك التغيير باليد الا في الضرورة التي تحددها القراءة الجديدة وان يكون تطبيق هذا المبدأ نابعاً عن حماسة المسلم واندفاعة العاطفي، فتتسلل عبرة الاهواء والعقد والنفسية الفردية والاجتماعية، ومن ثم تمنحه الذريعة لان يبتعد في تطبيقه عن روح الاسلام وحقيقة فكره/ اذا ان المسلم مهما بلغ شأنه وايمانه لن بكون اكثر حرصا على الاسلام من الرسول ﷺ ولن تكون عاطفته أشد حرصا على الهداية منه، مع كل هذا فقد وجه القرآن رسوله الكريم وضبط زمام الامور، اذ يقول سبحان ه وتعالى:

- ((ان كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم وانتم بريئون مما أعمل وانا بريء مما تعملون)))[٦٤]

- ((ان تولوا فإنما عليك البلاغ المبين))[٦٥]

- ((نحن اعلم بما يقولون ما انت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد))[٦٦]

- ((كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون أتواصوا به بل هم قوم طاغون فتول عنهم فما ان بملوم))[٦٧]

- (( ما من استغنى فأنت له تصدى وما عليك ال يزكى))[٦٨]

- ((فذكر انما انت مذكر لست عليهم بمصيطر)) [٦٩]

- هذه النصوص وغيرها كفيلة بأن تعطي واضحة في التعاطي مع بدأ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على نحو لا يتجوز اللسان مع اكثر الامور رفضا في الاسلام / الا وهو الشرك في الاسلام او ما يتعلق بقذف الرسول بالسجر والجنون، فما بالك بأشياء هي دون تلك الامور بدرجات غير ان التعاطي معها يكون على نجو يولد الفرقة والبغضاء والتنافر.

- ان ضبط مثل هذه المفاهيم الاسلامية في ضوء المنظومة القرآنية والسنة النبوية واخبار اهل البيت ﷺ، والصحابة الكرام يسد الباب امام الادعياء في تطبيق ما يخدم مصالحهم او أدلجة كثير من المفاهيم الاسلامية وذلك لمآرب سياسة او فئوية او طائفية فتتعاطى مع الآخر بأساليب تثير نفوره وهي كذلك لا ترسخ اعتذار المسلم في عقيدته ان اساليب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر القولية منها والقلبية؛ فضلاً عن التنفيذية لو ضبطت في ضوء القرآن ومن ثم تسويقها ضمن سياقات علمية تتصل بها وصل اليه العلوم الاجتماعية النفسية فأنها ستأتي كلها، من ثم لا يستطيع المنكرون رد ما نحن عليه؛ لان العلم والقرآن سوف يتظافران في اداء المفاهيم الاسلامية، ومن ثم تظافر تلك الجهود العمية في تسويق المفاهيم القرآنية سوف يجنبنا الاجتهادات الفردية؛ اذ لم يعد العمل الفردي فعلاً في عالم التنظيم والتنهيج، وبهذا نتمكن من اشاعية الثقافة والمعرفة والالمام بالمهارات المطلوبة للمجتمع.

- من ضوابط التعددية وآلياتها تجنب (الغرور الديني) او المذهبي فقد قيل من قبل ان الجنة لا يدخلها الا من كان هوداً او نصارى ويرد سبحانه وتعالى؛ اذ يقول: (( تلك امانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون))[٧٠] ومن مصاديق القرور الديني بين اهل الكتاب انفسهم، وينقل القرآن قولة تعالى: ((وقالت اليهود ليست النصارى على شيء

وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين من قبلهم لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون))[٧١] ولن يكون الامر بين اصحاب ديانتين وانما قد يكون بين المسلمين انفسهم، فتدعي كل طائفة انها الفرقة الناجية وان الجنة لا يطأها غيرهم، وان النار لغيرهم، واصدق من ذلك قولة تعالى: (( ليس بأمانيكم ولا اماني اهل الكتاب من يعمل سوءاً يجز به ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً))[٧٢]

- الإشارات القرآنية الى التعددية

**من مصاديق التعددية في القران الكريم**

١- النص على ان الله تعالى خلق كل شيء من زوجين وبهذا نفى الواحدية من المجتمع واثبت التعددية ابتداء من الزوجين ومن تلك النصوص

-((سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ))[٧٣]

-((والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجاً))[٧٤]

-((اولم يروا الى الارض كم انبتنا فيها من كل زوج كريم ))[٧٥]

-((من كل خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ))[٧٦]

٢- النص على تفاوت الناس في درجات إيمانهم ، وقد استعمل القران كلمة درجة ليميز بها بين فئات من المؤمنين و الانبياء فقال سبحانه وتعالى : ((لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدين في سبيل الله بأموالهم وانفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجراً عظيما ))[٧٧]

((ولكل درجات مما عملوا وماربك بغافل عما يعملون ))[٧٨]

((وهو الذي جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم في ما آتاكم))[٧٩]

((الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وانفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون ))[٨٠]

-((ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ))[٨١]

-(( تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم اللهُ ورفع بعضهم درجات ))[٨٢]

٢- النص على تعدد منطلقات الفرد والجماعة نحو الخير ضمن مبدأ **الاستباق فقال سبحانه وتعالى :**

-(( ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات ..))[٨٣]

- (( لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم امةً واحدةً ولكن ليبلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ))[٨٤]

-(( والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنهُ ))[٨٥]

هذه النصوص وغيرها تشير فيما تشير الى الاسلام الحنيف يعرف من اسرار الفرد والمجتمع الانية والمستقبلية ما يجعله يكشف عن الجوانب الاشكالات العقائدية والفكرية التي تحيط بالمجتمع ايما كانت ديانته ومن ثم فهو يعطي حلاً لكل ذلك فيفتح باب قبول الاخر أيا كانت شرعته وأيا كانت وجهته وأيا كان نهجه فالعمل الصالح هو مقياس التفوت بين العباد ; ففضل الله المجاهدين على القاعدين ولكل درجات مما عملوا وطال ذلك التفاوت امناء الوحي رسل السماء ففضل الله بعضهم على بعض وكان منهم من كلم الله .

ولم يكن دين معين هو خط شروع لأي احد بل تعددت السبل الى الله فكان لكل وجهة هو موليها وكان لكل امة شرعة ومنهاجا ، وكانت تلك السبل هي ساحة ابتلاء وساحة اختلاف لا خلاف ، ومن ثم مرجع المتبارين فيها جميعاً الى الله فيحكم الله فيما كان فيه الناس يختلفون .

## المبحث الثالث

**الاخر في النص القرآني**

**بين القبول والاحتواء**

**١. قبول الاخر**

يعرف الاخر على انه كل انسان مختلف ، سواء كان هذا الاختلاف شكلي او ضمني اختلاف من ناحية الشكل ( صفات فسيولوجية او بنى جسمانية ) او ضمني بالمعنى الفكري او السياسي او الديني او العرقي . وفي المجتمعات العربية هناك من يتصور الاخر على انه الضد او النقيض او المختلف او العدو ويجري تصنيف الاخر الى الاخر السلطوي او الاخر الديني او الاخر الفكري او الاخر النوعي .[٨٦]

من النصوص القرآنية التي توصي المسلم بان يقبل الاخر المختلف في دينه وعقيدته ما يلفت الانتباه على نحو يكشف عن مساحة واسعة في التسامح ، ولا فضل في ذلك الا لله العالم بعاقبة الامور، العالم بحتمية الاختلاف وتفاوت الاقتدار الفكري عند أبناء البشر، ولذلك تضمن القران إشارات ترتقي الى التصريح في احتواء الاخر وقبول انتمائه وما جاء في كتبه السماوية بوصفها كلاً من عند الله وبلغ من القران في قبول الاخران وضعه في بعض النصوص على خط شروعا واحد مع المسلم إذ يقول تعالى (( وإنا أو إياكم لعلى هدى أو، في ضلال مبين ))[٨٧]

ومن تلك النصوص ما يكشف الاحتكام الى الكتب السماوية الاخرى رغم وجود القران . ومن هذه النصوص :

- ((ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولأخوف عليهم ولاهم يحزنون ))[٨٨]

-((وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شئ وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة

فيما كانوا فيه يختلفون ))[٨٩]

-((قل من يرزقكم من السماوات والارض قل الله وإنا او اياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين قل لا تسألون ما اجرمنا ولا نسأل عما تعملون ))[٩٠]

-((ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائماً ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الاميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ))[٩١]

-((ليسوا سواء من اهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله اناء الليل وهم سيجدون يؤمنون بالله واليوم الاخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين ))[٩٢]

-((وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما انزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم إن الله سريع الحساب ))[٩٣]

-((لتجدن اشد الناس عداوة للذين امنوا اليهود والذين اشركوا ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا الذين قالوا ان نصارى ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون واذا سمعوا ما انزل الى رسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا امنا فاكتبنا مع الشاهدين ))[٩٤]

واشار القران الى اليهود ان يحتكموا الى التوراة ، فقال النبي ((وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ))[٩٥]

**ووصف القران الانجيل بالهدى والنور ،إذا يقول :**

((فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين ))[٩٦]

-((وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الفاسقون))[٩٧]

وصرح القران بان يترك الحكم على الاخر الله سبحانه وتعالى اذ يقول ((يا أيها الذين

امنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم ))[٩٨]

-((تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون))[٩٩]

واذا كان التفاوت في تفسير هذه النصوص قد يبتعد بها عن ظاهرها فإن لنا في سيرة الرسول ﷺوال بيته عليهم السلام أسوة حسنة في التعاطي مع الاخر وقبوله ،اذ روي (انه كان لرسول الله جار يهودي لابأس بخلقه فمرض فعاده رسول الله مع اصحابه ) ولم يجد أمير المؤمنين على بن ابي طالب غضاضة من اقتراض ثلاثة اصوع من جار يهودي شمعون عندما احتاج الى الطعام

ورغم تشدد الاسلام في امر رعاية الاطفال وتربيتهم ، فقد جوز استرضاع غير المسلمة ففي الخبر (هل يصلح للرجل ان ترضع له اليهودية والنصرانية والمشركة؟ قال : لا باس، وقال :امنعوهم(يقصد المرضعات) من شرب الخمر وأهم من ذلك ما جاء عن عموم الاسلام الا وهي الصلاة فقد جوز الاسلام اقامة الصلاة في معابد اليهود والنصارى والمجوس ، فقد سمع ابو عبد الله عليه السلام يقول عن الصلاة في البيع والكنائس صل منها قد رأيتها ما أنطفها )

وبعد فهل ادل مما تقدم شيء يحكي ضرورة قبول الاخر واحترامه شخصا وعقيدة ، اللهم لا ، فقد يكون أخي في الرضاعة وقد يكون محل عبادته هو عبادتي ايضا وتحت سقفه اقيم صلاتي والله وحده هو المؤول عن علاقة العبد به ولم يفوض البشر لاسيما الانبياء على اكراه الاخرين التزام ملتهم فالحكم لله فيما تختلف فيه من ديانات وعقائد .

**٧- الاشارات القرآنية الى الاختلاف**

لما كان الاختلاف سنة كونية على المستوى الطبيعي والانساني فإن الاختلاف في المجتمع امر حتمي لا مناص عنه ، ومن ثم لم يكن القران الكريم الا ان يعزز هذه الحقيقة على امل ان يتدبرها البشر فيوكلون ما اختلفوا فيه الى الله سبحانه وتعالى يفصل فيه يوم القيامة[١٠٠]

ويمكن تلمس فسحة الاختلاف في ضوء النصوص القرآنية المتضمنة لمادة ( اختلفوا )

وهي :

-(( ثمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ))[١٠١]

-(( إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ))[١٠٢]

-((اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ))[١٠٣]

-((قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ))[١٠٤]

-((وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ))[١٠٥]

-((لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ))[١٠٦]

-((وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ))[١٠٧]

-((إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ))[١٠٨]

٨- الاشارات القرآنية الى حرية الدين والمعتقد [١٠٩]

يمكن توزيع النصوص القرآنية التي تشير الى حرية الفكر والعقيدة والايمان والكفر على موضوعات متنوعة لعل اهمها :

١- قضية الايمان والكفر وهي قضية شخصية ، والنهي عن اجبار احد على الايمان ، وذلك ان الايمان والكفر الاجباريين لا قيمة لهما ، واهم ما جاء في ذلك عن القران :

أ- (( لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم ))[١١٠]

ب- ((ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا أ فأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمين))[١١١]

٢- حرية الاختيار في الدنيا

أ- (( وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر انا اعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها ))[١١٢]

ب- (( قل يا ايها الناس قد جائكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل

فإنما يضل عليها وما انا عليكم بوكيل ))[١١٣]

ح- ((انا انزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما انت عليهم بوكيل ))[١١٤]

د- (( انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة ... وان اتلوا القران فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فقل إنما انا من المنذرين ))[١١٥]

هـ- (( من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحاً فلأنفسهم يمهدون ))[١١٦]

و- (( هو الذي جعلكم خلائف في الارض فمن كفر فعليه كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا يزيدُ الكافرين كفرهم الا خساراً))[١١٧]

٣- الرسل ليسوا الا مبشرين ومنذرين ومبلغين ومذكرين

أ- (( ما على الرسول الا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون ))[١١٨]

ب- (( قل لا املك لنفسي نفعاً ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت اعلم الغيب لا ستكثرت من الخير وما السوء ان انا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون ))[١١٩]

ج-(( وان كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون ))[١٢٠]

ء- (( ... انما انت نذير والله على كل شيء وكيل ))[١٢١]

هـ - (( وان ما نرينك بعض الذي نهدهم او نتوفينك فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب ))[١٢٢]

و- (( فإن تولوا فإنما عليك البلاغ المبين ))[١٢٣]

ز- (( قل ما اسألكم عليه من اجرٍ الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا ))[١٢٤]

ح- (( نحن اعلم بما يقولون وما انت عليهم بجبار فذكر بالقران من يخاف وعيد))[١٢٥]

ط – (( وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين ))[١٢٦]

ي – (( اما من استغنى فأنت لهُ تصدى وما عليك الا يزكى ))[١٢٧]

ك – (( فذكر انما انت مذكر ))[١٢٨]

٤- إن تغيير الدين لا ترتيب عليه عقوبة دنيوية

أ- (( من يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ))[١٢٩]

ب- (( ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منهُ وهو في الاخرة من الخاسرين [ ٨٥ ] كيف يهدي الله قوماً كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات ... إن الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم واولئك هم الضالون ))[١٣٠]

هـ – (( ان الذين امنوا ثم كفروا ثم امنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا ))[١٣١]

و– (( يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا الا ان اغناهم الله ورسولهُ من فضله فإن يتوبوا يك خيراً لهم وان يتولوا يعذبهم الله عذاباً اليما في الدنيا والاخرة وما لهم في الارض من ولي ولا نصير ))[١٣٢]

ج – (( قال الملا الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين امنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا قال اولو كنا كارهين ))[١٣٣]

د– (( قالوا امنا برب العالمين رب موسى وهارون قال فرعون امنتم به قبل ان اذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها اهلها فسوف تعلمون لأقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ثم لاصلبنكم اجمعين ))[١٣٤]

–(( من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبهُ مطمئن بالأيمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ))[١٣٥]

–(( ان الذين ارتدوا على ادبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم واملى لهم ))[١٣٦]

٥– اختلاف العقائد والاديان سنة الالهية

–(( ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من امن بالله واليوم الاخر

وعمل صالحاً فلهم اجراهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ))[١٣٧]

-(( وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ))[١٣٨]

-(( قولوا امنا بالله وما انزل إلينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احداً منهم ونحن لهُ مسلمون فإن امنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وان توالوا فإنما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم ))[١٣٩]

-(( قل امنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والاسباط وما اوتي وموسى وعيسى والنبيون من ربهم لانفرق بين احدٍ منهم ونحن له مسلمون ))[١٤٠]

-(( ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ولا يزالون مختلفين الامن رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملان جهنم من الجنة والناس اجمعين ))[١٤١]

- (( قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد ولا انا عابد ما عبدتم ولا انتم عابدون ما اعبد لكم دينكم ولي دين ))[١٤٢] ( الكافرون )

٦- الهداية من الله ، وطبقاً لمشيئته

-(( ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء ))[١٤٣]

-(( فما لكم في المنافقين فئتين والله اركسهم بما كسبوا أتريدون ان تهدوا من اضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلاً))[١٤٤]

-(( ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعاً أفانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وما كان لنفس ان تؤمن الا بإذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون ))[١٤٥]

-(( انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو اعلم بالمهتدين ))[١٤٦]

-(( أفمن زين له سوء علمه فراه حسناً يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ان الله عليم بما يصنعون ))[١٤٧]

٧- الحكمة والموعظة الحسنة اسلوباً الدعوة الى الله

-(( ادعُ إلى سبيل ربك بالحمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين ))[١٤٨]

- ((ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي الا الذين ظلوا منهم وقولوا امنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون ))[١٤٩]

ان صراحة النصوص في الموضوعات المتقدمة تجعل المرء يكتفي بما يكشفه ظاهرها فالقران يلتفت الى كثير من خصوصيات موضوع حرية المعتقدة ; محدداً صلاحيات الرسل وحدد اساليب الدعوة الى استقطاب الاخر . وليس بين المسلمين وحسب بل بين المسلمين واصحاب الديانات الاخرى .

## الخاتمة

**١/ (المطلق والنسبي)**

تعمدُ في كثير من مفاصل البحث – ولا سيما النصوص القرآنية الشريفة – ترك التعليق او نقل شيء مما قيل في تفسيرها او تأويلها او قراءاتها ، لأسباب منها ما يتعلق بنتائج ما تأملته وانا اجالس البحث عنوانا ومنهجاَ ونصوصا ، فالنص القرآني باعتقادي نصاً مطلق لإيجاريه تفسير او تأويل الا ما صدرَ في تفسيره عن مطلق .

وقد اظهرت القراءات المرافقة للنص القرآني ولا سيما القراءات الحديثة الوانا من الذاتية لم تسلم منها اشهر اقلام المفسرين والمفكرين من العلماء والمتخصصين على نحو يجعلنا اليوم ننظر بعين الريبة الى كثيراً من التأويلات التي صارت تجنحُ بمعاني النص ودلالاته لا حيث يريد الفكر المؤدلج ولا سيما الفكر المشحون بغرور العلمية و اوهام القبض على الحقيقة ، وان حواراً ينطلق من رؤية للقران مشحونةً بأفكاراً مسبقة لا احسب انه يؤتي أُكله .

وفي الحقيقة ان شكلاً من اشكال القراءة متمثلاً بالتفسير رافق النص القرآني على نحو بريء في لغته وفي نوايا المشتغلين فيه وقد كانت مخرجات تلك القراءات البريئة تلبي حاجة العصر الذي رافقته ولا يخفى عن المتأمل ان تلك القراءات كانت في مرجعيتها الاولى تركن الى منطقة محايدة للوصول الى معرفة حدودها هي الغاية من القراءات التفسيرية ؛ لان من مهام القارئ الوصول بالمتلقي – ولا سيما الاجنبي او المتعلم للعربية بفعل اعتناقه للإسلام – الى الحد الادنى من الكشف عن المقاصد الالهية التي جاء النص القرآني الشريف لتوضيحها ، تلك المرجعية هي اللغة ، وتلك اللغة هي الغاية ، فمرجعية القراءة المرافقة للنص القرآني هي اللغة ، ومعرفة اسرار اللغة القرآنية في حدود المقاصد الالهية هي الغاية . واللغة فقط هي التي تجعلنا نربأ بالقران الكريم عن كثيرٍ من السياقات التاريخية المشوهة التي اراده البعض تسويقها بدليلٍ قراني .

ومع تلك البراءة في القراءة ، ومع تلك المرجعية المعرفية الاكثر نقاءً ، ومع تلك الغاية اللغوية ابتكرَ ذلك القارئ البريء ذيلاً – لكل فقرة من فقرات قراءته – كان يتأسى بهِ على عجزه ويكشف بهِ عن نسبية ما وصل اليه من القراءة ويحفظ للنص القرآني المطلق قابليته التي لا تخفت مهما اقتبس منها فيحفظ للقران مطلقيتهُ . تلك العبارة بسيطة ولكنها لو قرأت في نسقها وسياقها الثقافي عززت فكرة النسبية للقارئ مهما خبره العربية واقترب في سليقته من اصولها او رافق القران في جزئياته وكلياته ، وعززه النص القرآني بوصفه نصاً مطلقاً لا يقوى على الاتيان بمعانيه الا المطلق ذلك هو الله سبحانه وتعالى ومن أذن له ، ذلك الذيل الذي رافق كثيرا من القراءات البريئة للنص القرآني هو قولهم ( والله اعلم) .

لذلك اذا اردنا حركةً حوارية بين مختلف الاديان والمذاهب علينا ان نتجرع البراءة لنأتي على كل المقولات التي نسيرُ في ركابها ومراجعة مضامينها على وفق معطيات المطلق لا على وفق معطيات النسبي لان المطلق ومنه النص القرآني يحيط بحيثيات المقولة من دون تشتت او هوى اما النسبي وهو الاكثر خضوعاً للذاتية التي تجتهدُ في الانحياز الى ما تميل اليه .

هذا البحث دعوة للحوار الذي يتكئ على القراءة البريئة ويتجنب القراءة الظالة لان القارئ الموضوعي في حين ما يقرأ النص بما أوتي من معارف سوف يتراءى له عمق النص القرآني وما يتضمنه من مستويات منظورة وأخر مضمرة . ولهذا علينا ان نعي ان القراءة ليست صدى للنص القرآني وليست منتهى الفهم له وانما هي احتمال من الاحتمالات وتصورا من التصورات وتحت هذا المعنى تقع عملية التفسير لأنها معالجة من معالجات القراءة ولا يبرع المفسر مهما اوتيه من ادوات الا في معالجة واحداً من مستويات النص القرآني ولا يمكن لاحدٍ الادعاء تفسير ايةً من الآيات القرآنية في جميع مستوياتها واحاطته بكل دلالاتها لهذا كان من التفسير ما يتعلق بالجانب المأثور ومنه ما يتعلق بالبيان والبلاغة ومنه ما يتعلق بالأحكام الفقهية العملية ومنه ما يتعلق بالجوانب العلمية والقائمة مفتوحه على المعارف الانسانية

**٢/ (حركية المفاهيم في الفكر العربي المعاصر)**

لحظة الانبهار المعرفي التي عاشتها النخب العربية – سياسيا واقتصاديا واجتماعيا – مع المنجز الغربي بكل معطياته الفكرية والعلمية ، جعلتنا نقبل على كثير من المقولات المعرفية من دون مراجعة او حوار او عرضٍ لها على منظومة الثقافة العربية الاسلامية ، وسرعان مااستشرت كثير من المقولات والمفاهيم اجراءاً وتنظيراً في وعينا حتى اذا ماخفتت اضواء تلك المقولات وجلس المفكر العربي ليلتقط انفاسه أدرك ان كثيراً مما استورده واحتفى به لم يَعدم بذورهً في تراثه ، ولو انه التفت اليه سقياً بالنظر والتأمل لكان امام كثير من المفاهيم التي يمكن ان تنسب الى تراثنا اصالةً .

الامرُّ من ذلك اننا صرنا نعرض تراثنا ولاسيما الاسلامي بل والقرآني بكل مفاصله على كثيرٍ من المقولات التي قد تتساوق اجراءاً وتختلف في صيرورتها وفلسفتها وجوداً ، ولغرو لانها ولدت لمجتمعٍ وللحظة تاريخية تختلفُ عمّا نحن بحاجةٍ اليه ، وعليه فالفكر العربي ولاسيما الاسلامي بحاجة لمراجعة لكثير من المقولات ومحاورة كثير من المفكرين ولاسيما العرب أو المعنيين بالفكر العربي ومنهم أصحاب المشاريع الفكرية الرائدة وذلك لإعادة الامور الى نصابها الطبيعي ووضع المقولات في سياقها الثقافي والمعرفي من دون الانحناء لسطوة المنجز الغربي بكل ما أوتي من إجراءاتٍ مازالت تُغري بمحاكاتها كثيراً من الكتاب والمفكرين الذين يفرون اليها طلباً للجدة والطرافة وان كان ثمن ذلك التنكر للثوابت التي يجب ان تحتفظ بها الامة لاننا بحفظها نحفظُ الاصالة التي ننشد في فكرنا وفي اسلامنا وفي قرآننا الذي جاء لتختم به الكتب السماوية .

والحق ان كثيراً من المقولات في الفكر العربي المعاصر تتحرك على مسارب شتى أقلُ ما يمكن ان تنعت به تلك الحركة انها حركة فوضوية ، فالمقولات الرائجة اليوم في فكرنا جلُها مستورد وتنطوي على مفاهيم تتجلى مصاديقها تنظيراً وتطبيقاً في كثير من الاطاريح والرسائل والمصنفات والمقالات فضربت بذلك كل مفاصل الوعي العربي فاحتطبناها من

دون الالتفات الى جدواها أو تساوقها مع أفكارنا وطبيعة منظومتنا الثقافية التي انبنت في كثير من مراحلها على مقولاتٍ إسلامية ومفاهيم قرآنية .

ولاننا في هذا البحث بازاء ثلاث شعارات انسانية ساقها الفكر المعاصر الينا ضمن مساحة الفكر الديني ، فعلينا ان نقبلها ونقننها ، على وفق منظومة الفكر الديني الذي نتبناه ، والذي أُنشيء على وفق مقاساتٍ أرادها الله سبحانه وتعالى للبشرية جمعاء ، تلك الشعارات التي انجزنا مراجعتها في هذا البحث هي الحوار والتعددية والاخر ، كلٌ منها مقولة وكلٌ منها يستحق المراجعة قبل ان ننخرط في إجراءاتها التي قد تختلف مع مايُريدنا الله سبحانه وتعالى ان نكون عليه وبيننا وبين هذه المقولات ، وبيننا وبين الله ثمة ما يُمكن ان نعرض عليه تلك المقولات لنقترب من المقاصد السماوية ذلك هو القرآن النص المطلق الذي يُمكن ان نراجع عليه كل المقولات – التي يمكن ان نتصورها على درجةٍ عالية من الدقة – النسبية ؛ لان تلك المقولات حفّت بها ظروف ومعطيات اخرجتها الى الفكر الانساني بوصفها ابعاداً انسانية تلامس حاجة المجتمعات المتقدمة والمجتمعات اللاحقة بها ولاننا مجتمعٌ مسلم علينا ان نطالب انفسنا بعرض تلك المقولات على النصوص الاسلامية متمثلة بالقرآن والسنة وسيرة أهل البيت عليهم السلام ، ليتخلق لدينا مفهومٌ يتناسب والمقاصد الالهية أولاً وملبياً لطموح الانسانية ثانياً وبذلك نُبقي على حبل النص المُطلق متيناً ولانُذعن لغارب القراءة فيبعدنا عن المسار الذي فيه نجاتنا .

## الهوامش

١- الكهف / ٥٤ .

٢-ينظر : لسان العرب مادة ( دين) .

٣-الفاتحة / ٤ .

٤-الصافات / ٢ .

٥-ص / ٧٨.

٦-الانفطار/ ١٧ .

٧-http://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D9%86%D9%8A%D8%AF%D9%85%D8%B9%D8%AA%D9%82%D8%AF%D8%B1%D8%AA .

٨-ينظر : التعريفات ، الجرجاني ، ١١٠ ، المعجم ، ج٣/ ٢٧٥ – ٢٧٦ .

٩-المصدر السابق .

١٠- المعجم : ج٣/ ٢٧٦ .

١١-ينظر: http://net.tebyan.arabic/index.aspx?pid=140754 .

١٢-ينظر : لسان العرب مادة نصص .

١٣-: معجم المعاني الجامع .

١٤-ويعد يوري لوتمان (Youri Lotman) من أهم الشكلانيين الروس الذين اهتموا بسيميوطيقا الثقافة، علاوة على عنايته ببنية النص الفني، خاصة أنه كان عضوا مهما في مدرسة تارتو (Tartu) بموسكو، ومن أهم كتبه: (سيمياء الكونو انفجار الثقافة، و(بنية النص الفني

رابط الموضوع: http://www.alukah.net/literature_ixzz3bhHzRWan#/73254/language/0

*ينظر: نظرية النص من بنية المعنى الى سيميائية الدال ، د. حسين خمري ، منشورات الاختلاف ،ط١ ، ٢٠٠٧ ص٥٦

١٥- http://www.alukah.net/social/76265/0/#ixzz3awf4xvzt

١٦- http://www.aljabriabed.net/n67_04kasimi.htm

١٧- http://www.aljabriabed.net/n67_04kasimi.htm

١٨- ينظر : مفهوم القراءة في القران الكريم ، http://www.alquran.ma/Article.aspx?C=5559.

١٩- ينظر التسهيل لعلوم التنزيل الجزء الاول ص١٥

٢٠- ينظر التعريفات ص ٦٧

٢١- هكذا اقرأ ما بعد التفكيك

٢٢- الخطاب الديني رؤية نقدية ص٥٨

٢٣- ينظر مفهوم القراءة عند الحداثيين وعلاقته بالتفسير http://:vb.net.tafsir26544/tafsir/#. VWq6qc9VhBc

٢٤- ينظر التسهيل لعلوم التنزيل ج١ ص١٥

٢٥- لمراجعة هذه المعاني ينظر مادة ح و ر في لسان العرب ، تاج العروس ، قاموس المحيط وينظر دراسة في اسلوب الحوار في القران الكريم ، د. اسحاق رحماني : com.nurmajalla.www

٢٦- سورة الكهف / ٣٤

٢٧- سورة الكهف/ ٣٧

٢٨- سورة المجادلة/ ١

٢٩- فنون الحوار والاقناع ، محمد راشد ديماس: ١١ وينظر : دراسة عن اسلوب الحوار في القران

٣٠- .معالم في منهج الدعوة صالح بن عبدالله بن حميد :٢١٢

٣١- دراسة في اسلوب الحوار في القران الكريم

٣٢- حوار حول العقيدة بين المسلمين واهل الكتاب حتى نهاية القرن الثالث الهجري في بلاد الشام والعراق : ١٥

٣٣- ينظر: قراءة في مفهوم الحوار وأدبياته http://:www.siironline.org.alabwab/josoor/037.html

٣٤- المصدر السابق

٣٥- ينظر منهجية الحوار الجدلي في القران الكريم والسنه النبوية دراسة عن اسلوب الحوار في القران الكريم اسحاق رحباني

٣٦- سورة الجاثية / ٣٤

٣٧- سورة المائدة / ٦٤

٣٨- سورة المائدة / ٧٣

٣٩- سورة يس/ ٤٧

• تعني التعددية (pluralism) لغويا الكثرة والتنوع وقد اطلقت لأول مرة في الكنيسة على من كانو يشغلون مناصب عديدة . اول من ادخل مصطلح البلورالية في حقل الفلسفة هو لوتسه في كتابه (ما بعد الطبيعة) وذلك عام ١٨٤١ . بين هذا وذاك وفي حقل فلسفة الدين تعني التعددية تأييد احقية الاديان كافة . قدم انصار التعددية بغية ايضاح نظريتهم قراءات واسساً عديدة، حيث يتطلب الخوض في جوانبها فرصة اخرى . ينظر القرآن والتعددية ص٢٥

٤٠- ينظر : التعددية في مجتمع اسلامي ،٦-٩، والتعددية في الاسلام مراد الرويس
٤١- ال عمران / ٦٤
٤٢- النحل/ ٦٣
٤٣- ينظر : التعددية في فكرة الامام الشيرازي، والتعددية في الاسلام.
٤٤- الحجيرات / ٣١
٤٥- صحيح مسلم
٤٦- سيرة المصطفى ، هاشم معروف الحسيني / ص٣٢ لما نزلت الاية ((قل تعالوا ندع ابنائنا وابائكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة اللة على الكافرين)) دعا عليا وفاطمة والحسن والحسين وقال هؤلاء اهل بيتي .
٤٧- التحريم/ ٦
٤٨- يونس/ ١٠٨
٤٩- الكهف / ٢٩
٥٠- هود / ١١٨
٥١- ينظر الفقة ، كتاب الجهاد ، الشيرازي ، دار العلوم ، بيروت ،ط٢ ، ج٤٨ ، ص٢٩
٥٢- الروم / ٢٢
٥٣- ابراهيم / ٤
٥٤- ينظر النشر في القرات العشر ،١/ ٩
٥٥- المائدة / ٨٤
٥٦- ينظر التعددية الدينية، نظرة في المذهب البلورالي ، حيدر حب االه الغدير ،بيروت ط١/ ٢٠٠١/ ص٢١
٥٧- ظر الاسلام والتعددية الدينية ن محمد لينكنهاوزن ، دار الفكر الجديد النجف ،ص٤٣-٤٥
٥٨- ينظر : التعددية الدينية / نظرة في المذهب البلورالي / ٢٩-٣٠
٥٩- ينظر : التعددية الدينية / ٣
٦٠- ينظر: التعددية في مجتمع اسلامي ، ص٥٠ .
٦١- طه / ٤٢-٤٤.
٦٢- نهج البلاغة ٤٩٧ .
٦٣- الفتاوى الواضحة ، ٩٦ .
٦٤- يونس/ ٤١.
٦٥- النحل/ ٨٢.

٦٦- ق/ ٤٥.
٦٧- الذاريات/ ٥٢-٥٥.
٦٨- عبس/ ٥-٧.
٦٩- الغاشية/ ٢٢.
٧٠- البقرة/ ١١١-١١٢.
٧١- البقرة/ ١١٣.
٧٢- النساء/ ١٢٣.
٧٣- يس / ٣٦.
٧٤- فاطر/ ١١.
٧٥- الشعراء/ ٧.
٧٦- الذاريات/ ٤٩.
٧٧- النساء/ ٩٥ .
٧٨- الانعام/ ١٣٢.
٧٩- الانعام / ١٦٥ .
٨٠- التوبة / ٢٠.
٨١- الزخرف/ ٣٢.
٨٢- البقرة / ٢٥٢.
٨٣- البقرة / ١٤٨.
٨٤- المائدة / ٤٨.
٨٥- التوبة / ١٠٠.
٨٦- ينظر: الاخر، حسام سليمان ، رابطة ادباء الشام ، http://www.odabasham.net/show.
php?sid=42221 .
٨٧- سبأ/ ٢٤.
٨٨- البقرة / ٦٢ .
٨٩- البقرة/ ١١٣ .
٩٠- سبأ/ ٢٤ -٢٥ .
٩١- ال عمران/ ٧٤-٧٥.
٩٢- ال عمران / ١١٣-١١٥.
٩٣- ال عمران / ١٩٩.

٩٤- المائدة/ ٨٣.
٩٥- المائدة/ ٤٣.
٩٦- المائدة/ ٤٦ .
٩٧- المائدة / ٤٧ .
٩٨- المائدة / ١٠٥ .
٩٩- البقرة / ١٣٤.
١٠٠- ينظر: التعددية في المجتمع الاسلامي ٥١- ٥٣ .
١٠١- ال عمران/ ٥٥ .
١٠٢- المائدة / ٤٨.
١٠٣- الحج/ ٦٩.
١٠٤- الزخرف/ ٦٣.
١٠٥- يونس / ١٩.
١٠٦- النحل/ ٣٩.
١٠٧- الشورى/ ١٠.
١٠٨- الزمر / ٤٦.
١٠٩- ينظر: التعددية في المجتمع الاسلامي ١٠ – ٥٢ ، حرية العقيدة والدين في الاسلام ، دكتور محسن كديور ، مجلة قضايا اسلامية معاصرة ١٤٦ – ١٧٨ .
١١٠- البقرة / ٢٥٦.
١١١- هود/ ٢٨.
١١٢- الكهف/ ٢٩ .
١١٣- يونس/ ١٠٨.
١١٤- الزمر/ ٤١.
١١٥- النمل/ ٩٢.
١١٦- الروم/ ٤٤.
١١٧- فاطر/ ٣٩.
١١٨- المائدة/ ٩٩.
١١٩- الاعراف/ ١٨٨.
١٢٠- يونس/ ٤١.
١٢١- هود/

١٢٢- الرعد/ ٤٠.
١٢٣- النحل/ ٨٢ .
١٢٤- الفرقان / ٥٧.
١٢٥- ق/ ٤٥٩ .
١٢٦- الذاريات/ ٥٥.
١٢٧- عبس/ ٥-٦.
١٢٨- الغاشية/ ٢١.
١٢٩- البقرة / ٢١٧.
١٣٠- ال عمران / ٩٠.
١٣١- النساء/ ١٣٧.
١٣٢- التوبة/ ٧٤.
١٣٣- الاعراف / ٨٨.
١٣٤- الاعراف / ١٢١ – ١٢٤.
١٣٥- النحل/ ١٠٦.
١٣٦- محمد/ ٢٥.
١٣٧- البقرة / ٦٢.
١٣٨- البقرة / ١٣٣.
١٣٩- البقرة/ ١٣٦ – ١٣٧.
١٤٠- ال عمران / ٨٤.
١٤١- هود / ١١٩.
١٤٢- الكافرون /
١٤٣- البقرة / ٢٧٢.
١٤٤- النساء / ٨٨.
١٤٥- يونس / ١٠٠.
١٤٦- القصص / ٥٦.
١٤٧- فاطر/ ٨.
١٤٨- النحل / ١٢٥.
١٤٩- العنكبوت / ٤٦.

## المصادر

القران الكريم
١. لسان العرب
٢. التعريفات ، الجرجاني
٣. المعجم ، غريد الشيخ
٤. معجم المعاني الجامع
٥. مفهوم القراءة في القران الكريم
٦. التسهيل لعلوم التنزيل
٧. هكذا اقرأ ما بعد التفكيك
٨. الخطاب الديني رؤية نقدية
٩. مفهوم القراءة عند الحداثيين وعلاقته بالتفسير
١٠. القاموس المحيط
١١. تاج العروس
١٢. دراسة في اسلوب الحوار في القران الكريم ، اسحاق رحماني
١٣. فنون الحوار والاقناع ، محمد راشد ديماس
١٤. معالم في منهج الدعوة ، صالح بن عبدالله بن حميد
١٥. حوار حول العقيدة بين المسلمين واهل الكتاب حتى نهاية القرن الثالث الهجري في بلاد الشام والعراق
١٦. قراءة في مفهوم الحوار وادبياته
١٧. منهجية الحوار الجدلي في القران الكريم والسنة النبوية
١٨. القران والتعددية ، محمد حسن قدرقان قراملكي ، ترجمه رحيم حمداوي ، دار الولاء للطباعة والنشر والتوزيع ط١ بيروت لبنان
١٩. التعددية في مجتمع اسلامي
٢٠. التعددية في الاسلام ، مراد الرويس
٢١. التعدية في فكر الامام الشيرازي
٢٢. سيرة المصطفى ، هشام معروف الحسيني
٢٣. الفقه ، كتاب الجهاد ، الشيرازي ، دار العلوم ، بيروت ، ط٢ ، ج٤٨
٢٤. النشر في القراءات العشر
٢٥. التعددية الدينية ، نظرة في المذهب البلور الي ، حيدر حب الله ، الغدير ، بيروت ، ط١ ٢٠٠١
٢٦. الاسلام والتعددية الدينية ، محمد لينكنهاوزن، دار الفكر الجديد ، النجف
٢٧. الاخر ، حسام سليمان ، رابطة ادباء الشام /net.odabasham.www//:http 42221=sid?php.show
٢٨. حرية العقيدة الدين في الاسلام ، د. محسن كديور ، مجلة قضايا اسلامية معاصرة

# التسامح الفكري من منظور إسلامي

أ.م.د. حيدر عبد الزهرة التميمي

جامعة بغداد

كلية التربية ابن رشد

قسم القران الكريم وعلومه

## ملخص البحث

التسامح الفكري هو تقدير التنوع الثقافي ، وهو الانفتاح على الأفكار والفلسفات الأخرى بدافع الاطلاع ، وعدم رفض ما هو غير معروف . وهو من شروط نجاح الحوار الذي يتطلب الانطلاق من اعتراف كل طرف بالآخر ، ويبدأ بالاستعداد النفسي للانفتاح عليه بتسامح ، أي : بقبوله كما هو . ثم البحث في أثناء الحوار عن مواطن الاتفاق، والبعد عن مواطن الاختلاف . وهو يعني احترام المرء لآراء الآخرين لاعتقاده أنها تحمل جانباً من جوانب الحقيقة ، والاعتراف لكل إنسان بحقه في إبداء رأيه لكنه لا يعني التساهل والتنازل، بل هو اتخاذ موقف ايجابي يُقر بحق الآخر في التمتع بحقوقه، وهو ممارسة يجب على الدول والجماعات والأفراد الأخذ به. ولا يخفى على من يدقق النظر أن الإسلام خير من مثل هذه الثقافة على الصعيدين : التنظيري الذي نتلمسه في نصوص القرآن الكريم ، وأحاديث النبي الأعظم وأهل بيته ﷺ . والتطبيقي الذي نقرأه في صفحات التاريخ الإسلامي الذي جسد أبهى صور التسامح الفكري .

## المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، حبيب إله العالمين ، أبي القاسم محمد المصطفى ، وعلى آله الطيبين الطاهرين .

أمّا بعد :

فالتسامح هو تقدير التنوع الثقافي ، وهو الانفتاح على الأفكار والفلسفات الأخرى بدافع الاطلاع ، وعدم رفض ما هو غير معروف . وهو من شروط نجاح الحوار الذي يتطلب الانطلاق من اعتراف كل طرف بالآخر ، ويبدأ بالاستعداد النفسي للانفتاح عليه بتسامح ، أي : بقبوله كما هو . ثم البحث في أثناء الحوار عن مواطن الاتفاق، والبعد عن مواطن الاختلاف .

وهو يعني ((احترام المرء لآراء الآخرين لاعتقاده أنها تحمل جانباً من جوانب الحقيقة، والاعتراف لكل إنسان بحقه في إبداء رأيه))[١]

والتسامح بحسب الموسوعة البريطانية يعني : ((السماح بحرية العقل أو عدم الحكم على الآخرين. ويكشف هذا التعريف عن إحدى السمات العامة للتسامح وهي الحرية ولكن ليس المطلقة التي تولّد التعصب))[٢]

ويعرف بيتر ب. نيكولسون التسامح بأنه: فضيلة الإمساك عن ممارسة المرء سلطته في التدخل بآراء الآخرين وأعمالهم، علماً أن هذه الآراء والأعمال تختلف عن آراء الشخص المذكور وأعماله فيما يظنه مهماً إلى حد أنه لا يوافق عليها أخلاقياً[٣]

واعتمد المؤتمر العام لمنظمة التربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) في دورتها الثامنة والعشرون في باريس في تشرين الثاني ١٩٩٥ تعريفاً شاملاً للتسامح تضمنه الإعلان الذي أصدرته المنظمة، وعرفت المادة الأولى منه التسامح بأنه[٤]

١. احترام وقبول التنوع والاختلاف عبر الانفتاح والمعرفة وحرية الفكر والضمير والمعتقدات، والتسامح ليس أخلاقيا فقط بل سياسي وقانوني، وهو فضيلة تسهم في

إحلال ثقافة السلم محل ثقافة الحرب.

٢. إن التسامح لا يعني التساهل والتنازل، بل هو اتخاذ موقف ايجابي يُقر بحق الآخر في التمتع بحقوقه، وهو ممارسة يجب على الدول والجماعات والأفراد الأخذ به.

٣. إن التسامح مسؤولية تشكل عماد حقوق الإنسان والتعددية بما فيها التعددية الثقافية والديمقراطية وحكم القانون، وينطوي التسامح على نبذ الاستبداد والدوغماتية، ويثبت المعايير التي تنصب عليها الصكوك الدولية الخاصة بحقوق الإنسان.

٤. إن التسامح لا يعني قبول الظلم الاجتماعي أو تخلي الفرد عن معتقداته والتهاون بها، بل يعني تمسكه بمعتقداته وقبوله تمسك الآخرين بمعتقداتهم وهو إقرار بحق الفرد في العيش بسلام.

ويحدد محمد عابد الجابري المعنى الاصطلاحي الحديث للتسامح بأنه يعني: ((لا أن يتخلى المرء عن قناعته، ولا أن يكف عن إظهارها والدفاع عنها والدعوة لها، بل يعني الامتناع عن استعمال أية وسيلة من وسائل العنف والتجريح وبكلمة واحدة: احترام الآراء وليس فرضها))[٥]

ويعني التسامح أيضا: أن نحيى نحن والآخرون على الرغم من اختلافاتنا في عالم واحد يضمنا، ويتجلى ذلك في الاستعداد لتقبل وجهات النظر المختلفة فيما يتعلق باختلافات السلوك والرأي دون الموافقة عليها [٦]

ويعرف محمد جابر الأنصاري التسامح بأنه: تعايش المختلفين بسلام وتوافر بينهم حد أدنى من التكافؤ والمساواة وقبول الآخر فلا يوجد تسامح بين أُناس مختلفين في إعطاء الفرص لهم[٧].

ويعرف محمد أركون التسامح بأنه: الاعتراف للفرد المواطن بحقه في أن يعبر داخل الفضاء المدني عن كل الأفكار السياسية والدينية الفلسفية التي يريدها ولا أحد يستطيع أن يعاقبه على آرائه إلا إذا حاول فرضها بالقوة والعنف على الآخرين[٨]

و التسامح الفكري واحد من أنواع التسامح ويقصد به احترام الآراء والأفكار المخالفة على وفق آداب الحوار وعدم التعصب، فالاجتهاد والإبداع حق لكل إنسان بغض النظر عن لونه، جنسه، دينه[٩] ونقيض التسامح الفكري هو اللاتسامح الفكري الذي يعني حجب وتحريم حق التفكير والاعتقاد والتعبير بفرض قيود وضوابط تمنع ممارسة هذا الحق، بل وتنزل عقوبات بالذين يتجرؤون على التفكير. خارج ما هو سائد سواء أكان ذلك بقوانين مقيّدة أو عبر ممارسات قمعية[١٠].

ويعد التسامح ضرورة وجودية وقيمة إنسانية تفرضها سنة الوجود المنطلقة من تنوع البشر الذين لايتفقون على دين واحد ، ولا معتقد واحد ، ولا شكل واحد ، ولا لغة واحدة ، فالتنوع الإنساني سنة كونية كما في قوله تعالى { يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا}[١١] ، ولا يتحقق التعارف والحوار والالتقاء والتفاهم التي هي من شروط التسامح ومتطلباته.

إن واقع الحياة يفرض تنوعا ثقافيا ودينيا ، وهذا التباين المرتبط بالتنوع الإنساني، ينعكس على الأمزجة والميول والمذاهب والطموحات مما يؤدي إلى تمايز في المنطلقات الفكرية للبشر وتغاير في الأنماط السلوكية ويتطلب هذا التنوع والاختلاف اللذان تقضيهما سنة الحياة والفروق الفردية والذهنية التسامح الذي يعد شرطا مهماً لإغناء العقل بخصوبة الرأي والإطلاع على عدد من وجهات النظر ورؤية الأمور من أبعاد وزوايا مختلفة[٢١].

والتسامح الفكري شرط مهم لمواجهة التشدد والتعصب والتزمت والانغلاق والانحياز والعداء والإفراط في الاعتقاد بالتفوق على الآخرين، ولاسيما في الأفكار والمعتقدات الدينية والسياسة والثقافية[١٣].

وترجع ضرورة التسامح مع الآخر أيضا إلى أنه شرط لاستمرار الحياة الإنسانية وتعايش مكوناتها التي لا يمكن توحيدها على صورة نوع أو رأي واحد، فالاختلاف والتنازع البشريين طبيعة اجتماعية أكدتها وتؤكدها ذاكرة التجارب البشرية[١٤].

والتسامح ((حاجة ماسة وضرورة ملحة بعد أن شهدت حياتنا أنماطاً من التفرد والتسلط والاستئثار وإلغاء الآخر وإقصائه خصوصا في ظل سيادة الآراء المسبقة وادعاء الأفضليات والتشبث بالنص القطعي ، الحرفي ، اليقيني ، الاطلاقي الايدلوجي بعيدا عن التعددية والنسبية والتنوعية التاريخية والاجتهادية ووجوه الحقيقة فالحوار مع الآخر والتعايش معه والاعتراف به خطوات أولية للإقرار بمظلة التسامح وتشجيع التنوع في مجال الفكر والممارسة ))[١٥]

ومن المؤكد أن ثقافة السماء المتجسدة في الديانات السماوية التي أنزلها الله عزّ وجل عبر أنبيائه تأمر باحترام الحريات والانتماءات الفكرية فـ((من البديهي أن الأديان بحكم انتمائها إلى السماء فإنها لا تأمر إلا بالخير والحق والصلاح ولا تدعو إلا بالبر والحب والرحمة والاحسان ، ولا توصي إلا بالأمن والسلم والسلام وما كانت يوماً في حد ذاتها عائقا أمام التبادل الفكري والثقافي ولا أمام التعايش والتعارف والحوار ، وإنّما العائق يكمن في الذين يتوهمون أنهم يمتلكون الحقيقة المطلقة ويستغلون الأديان في أقدار الناس ومصائرهم ، تلك المهمة التي أبى الله إلا أن يمنحها لأنبيائه الأخيار . ))[١٦] . فحري بنا أن نغوص في مصادر تشريع الديانات السماوية لنستكشف الحقيقة التي زيفها أصحاب القراءات المغلوطة متعمدين في ذلك أو غير متعمدين .

فمن النافع جدا تكامل الأفكار وتلاقحها عبر الحوار الهادي وتبادل المعلومات فـ((إن فكرة التفاهم والعقلانية مسألة ملحة وضرورية بما تمثله من نقاش وحوار لتصحيح الأخطاء بغية الوصول إلى ماهو صحيح وماهو خطأ أو ماهو حقيقي وماهو مزيف دون الإغراق في البحث عن من هو المخطئ ومن هو المصيب وإنما ينصب البحث حول إمكانية التعايش والتسامح دون أن يعني ذلك عدم تحديد الحقوق بل الاعتراف بها من خلال التمسك بها والدفاع عنها ))[١٧]

وهذا يؤدي بنا إلى إدراك مسألة غاية في الأهمية مفادها : أننا لابد لنا أن نعي فكر الآخر وعقيدته ومذهبه ولانكبت حريته في التعبير عما يعتنق ، ((فالتسامح يعني القبول بالتعددية والاحترام للتنوع الثقافي ولأشكال التعبير عن الصفات الانسانية ، ولهذا فإن التسامح يفترض المعرفة بالآخر والانفتاح عليه والاتصال به والحرية في التعامل والتعايش معه))[١٨]

ومن الأمور التي لابد لمن يبغي نشر ثقافة التسامح أن يعيها هي ضرورة التمهيد لنشر هذه الثقافة عبر خلق الأجواء المناسبة والأرضية الملائمة إذ((إنّ نشر ثقافة التسامح وتعزيزها بحاجة إلى الانفتاح وإلى بيئة مناسبة تتسم بفضاء الحرية وحق التعبير وحق الاختلاف دون خوف من العقاب ))[١٩]

وفي أدنى تأمل لفكر ديننا الإسلامي الحنيف يتضح لنا جلياً ((إن الإسلام من جهته يعترف بوجود الغير المخالف فرداً كان أو جماعة ويعترف بشرعية ما لهذا الغير من وجهة نظر ذاتية في الاعتقاد والتصور والممارسة تخالف ما يرتئيه شكلاً ومضموناً، ويكفي أن نعلم أن القرآن الكريم قد سمّى الشِّرك ديناً على الرغم من وضوح بطلانه، لا لشيء إلاّ لأنه في وجدان معتنقيه دين))[٢٠] .

ولعل الولوج في نصوص المصدر الأساسي للفكر الإسلامي وهو القرآن الكريم تفضي إلى أنه يؤمن بحرية التدين وحرية المعتقد فـ((قد تحدث القرآن الكريم عن حرية التدين في كذا آية ، وهو مايؤكد أن التسامح شكّل الأساس في الإسلام الذي يؤكد حرية العقيدة لغير المسلمين وحرية التعبد وعدم الإكراه أو الاجبار والتزام احترام الآخر ))[٢١] .

ومن تلك النصوص الشريفة :

قوله تعالى : { إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ }[٢٢]

يقول السيد الطباطبائي : ((إن تولوا فإنما عليك البلاغ كناية عن الامر بتخلية ما بينهم وبين ربهم وإرجاع أمرهم إليه وهو بصير بعباده يحكم فيهم بما تقتضيه حالهم ويسأله لسان استعدادهم .))[٢٣] وفي هذه إشارة إلى أن النبي الأعظم ﷺيتوجب عليه البلاغ من غير

إكراه ويبقى الأمر بيد الله عزّ وجل البصير بعباده وبيده الحكم بما يستحقون .

((فإنّ في النص القرآني ما تدعو إلى عدم محاصرة العقل وفرض الفكرة على الآخرين تحت موقف الترهيب دون الترغيب وهو ا يتضح في قوله عزّ وجل { فذكر إنّما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر }[٢٤] في ردّ مباشر على التوجهات التفوقية الاستعلائية المنطلقة من مخيال العنف لبعض التيارات الفكرية المتزمتة في الإسلام المعاصر ))[٢٥]

وقوله تعالى : { لا إكراه في الدين }[٢٦] التي تشير إلى أن الإسلام لايكره أحدا على اعتناقه وقد أشارت كتب التفسير إلى ((أن المستفاد من شأن نزول هذه الآية وأن بعض الجهلاء طلبوا من رسول الله ﷺ أن يقوم بتغيير عقائد الناس بالإكراه والجبر فجاءت الآية جوابا لهؤلاء وأن الدين ليس من الأمور التي تفرض بالإكراه والإجبار وخاصة مع كل تلك الدلائل الواضحة والمعجزات البينة التي أوضحت طريق الحق من طريق الباطل ، فلا حاجة لأمثال هذه الأمور . وهذه الآية رد حاسم على الذين يتهمون الإسلام بأنه توسل أحيانا بالقوة وبحد السيف والقدرة العسكرية في تقدمه وانتشاره .))[٢٧]

فالإسلام يؤمن بضرورة أن يمتلك معتنق الأفكار قناعة مطلقة بها لأنه سيتحمل مسؤوليتها إذ ((إنّ المكره على عمل ما لايتحمل نتائجه ؛ لأنّ أرادته استعبدتها قوة قاهرة ، فكذلك المكرهون بالعنف على الدخول في دين ما لا يعتبرون متدينين به موضوعاً وإن خضعوا له شكلاً ))[٢٨]

لذلك نجد أنّ لفظة الإسلام الواردة في القرآن الكريم لاتعني الدين الذي أنزل تعاليمه على صدر النبي محمد ﷺ ((وإنما هو اسم للدين المشترك الذي هتف به كل الأنبياء وانتسب إليه كل أتباع الأنبياء . هكذا نرى نوحاً يقول لقومه { أمرت أن أكون من المسلمين }[٢٩] ويعقوب يوصي بنيه قائلا: { فلاتموتن إلا وأنتم مسلمون }[٣٠] ... وموسى يقول لقومه : { ياقوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين }[٣١] والحواريون يقولون لعيسى : { آمنّا بالله واشهد بأنّا مسلمون }[٣٢] ))[٣٣]

ولأنّ النبي الأعظمﷺ وسنته الشريفة ترجمان القرآن والجانب التطبيقي لما ورد فيه من أحكام تشريعية فقد جسد فكرة التسامح الفكري في سلوكه على الأرض الواقع ، فحين نتأمل في صحيفة المدينة التي سنها نبي الرحمة والانسانية ﷺ تطالعنا ملامح الفضاء الأمثل من التسامح الفكري والعمل بمبدأ اللا إكراه . إذ إنها تنص على أنّ ((لليهود دينهم وللمسلمين دينهم .....وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم ))[٣٤] وقد نصّت الوثيقة ـ بوضوح ــ على أن حرية الدين مكفولة فليس هناك أدنى تفكير في محاربة طائفية أو إكراه مستضعف[٣٥]

فالوثيقة تشير إلى مبدأ الاعتراف بالآخر بصفته وحدة واحدة في أمة واحدة بالمعنى السياسي والاجتماعي على الرغم من كونه من أمة أخرى بالمعنى الديني والعقدي[٣٦]

وقد وفرت الوثيقة لغير المسلم في المجتمع الإسلامي وجودا اندماجيا يحافظ فيه على جميع مكونات شخصيته وفي طليعتها الهوية الدينية وما يرتبط بها من ممارسات وعادات[٣٧]

ومن ملامح التسامح الفكري في سيرة النبي الأعظم محمد ﷺالمعاهدات التي عقدها مع غير المسلمين فقد ((عاهد الرسولﷺ مع قبيلة تغلب سنة ٩ من الهجرة وكان دينه قد قوي وخضعت له العرب ولكنه أباح لتغلب أن تبقى في العرب على نصرانيتهم ، وعاهد نصارى نجران ولم يتركهم إلا أحرارا في دينهم ولم يتعرض لهم ، وإن تأهب للهجوم المفاجئ عليهم فتأهب عندما ظهر الفساد من عندهم ، وتتضمن الاتفاقيات مع بنس ضمرة وخزاعة الحماية لأنفسهم وأموالهم وتعطيهم السلام في ديارهم ))[٣٨]

وهذه القرائن إن دلت على شيء فهي تدل على ((إن الإسلام ليس ــ كما يزعم الأكثرون ــ عنيفا ولامتعطشا للدماء ، وليس من أهدافه أن يفرض نفسه على الناس فرضا حتى يكون هو الديانة العالمية الوحيدة فنبي الإسلام هو أول من يعرف أن كل محاولة لفرض ديانة عالمية وحيدة هي محاولة فاشلة بل هي مقاومة لسنة الوجود ، ومعاندة لإرادة رب الوجود . ))[٣٩] تجسيدا لقول الله تعالى : { ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولايزالون مختلفين }[٤٠]

والتاريخ الإسلامي يشهد للمسلمين وسماحتهم مع اقتدارهم وهذا مما شهد به القريب والبعيد ، يقول روبرتسون : ((إن المسلمين وحدهم هم الذين جمعوا بين الجهاد والتسامح نحو أتباع الأديان الأخرى ، الذين غلبوهم وتركوهم أحرارا في إقامة شعائرهم الدينية))[٤١]

فمما مر يتضح ((إن الحكم الإسلامي لايصادر عقيدة أخرى ولايعطل عبادة أخرى ؛ لأنّه يقبل بيسر أن تجاوره أديان أخرى وأن يعيش مع أتباعها في سلام))[٤٢]

ولو وازنا بين سلوك المسلمين في تجسيد ملامح التسامح الفكري مع غيرهم لبدا للناظر بعين المنصف أن المسلمين أقرب إلى التطبيق الواقعي لمبادئ التسامح الفكري ((فبينما يقبل المسلمون وجود أديان مغايرة لدينهم ، ويرفضون إكراه أحد على ترك ملته ، ويرضون أن يتألف المجتمع من مسلمين وغير مسلمين ، ويشرعون نظما عادلة لتطبق عليهم وعلى من في ذمتهم من مسيحيين أويهود . بينما نفعل ذلك ، نرى المسيحية تتبرم بالديانات الأخرى، وترسم سياستها الظاهرة والباطنة لإبادة خصومها وتحقيرهم وحرمانهم حتى ترغمهم على ترك دينهم ، وتجبرهم على النصرانية جبرا ))[٤٣]

((وبينما يقول القرآن { لا إكراه في الدين }[٤٤] تنسب الكتب المقدسة إلى المسيح أنه قال لحوارييه : أجبروهم على اعتناق دينكم))[٤٥]

فالتاريخ المسيحي وسلوكيات المسيحيين تترجم لنا ثقافة الاضطهاد التي مورست ضد المسيحيين أنفسهم الذي يختلفون في المذهب ((فهو لم يتجه إلى اضطهاد أهل الأديان الأخرى فحسب وإلى تحريم الوظائف الجليلة والتافهة عليهم بل إنّ أتباع المذهب المسيحي الواحد يحرمون أن يلي عملا بينهم صاحب مذهب مسيحي آخر وقد حدث في القرن الثامن عشر أن قتل محامي بروتستانتي لأن القانون الفرنسي يومئذ يحظر مهنة المحاماة على البروتستانت))[٤٦]

وهنالك قصص كثيرة تشير إلى هذه الثقافة يطول بنا المقام لو سردنا تفاصيلها ، ويبعدنا عن غايتنا التي نروم الوصول إليها وهي أهمية التسامح الفكري في ديمومة الحياة ورقيها وتطورها ، وهي ضرورة ملحة للتعايش بين أبناء المجتمع الواحد الذين لا يتفقون في معتقداتهم وأفكارهم وانتماءاتهم . وقد بينا أن الإسلام خير من مثل هذه الثقافة على الصعيدين : التنظيري الذي نتلمسه في نصوص القرآن الكريم ، وأحاديث النبي الأعظم وأهل بيته ﷺ . والتطبيقي الذي نقرأه في صفحات التاريخ الإسلامي الذي جسد أبهى صور التسامح الفكري .

وهذا يشير بجلاء إلى أنّ الذين يحملون ثقافة مغايرة لثقافة الإسلام ، وينتهجون منهجا لايمت للإسلام بصلة ، ليس لهم من هذا الدين إلا الاسم لأنّهم أبعد ما يكونون عن جوهر حقيقة الإسلام الذي يكفي أن يقال أنه دين سلام لنقف على حقيقته ومبتغاه .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وآله الطيبين الطاهرين .

## الهوامش

( ١ ) المعجم الفلسفي ، جميل صليبا ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٢٨ ، ١ / ١٧٢ .
( ٢ ) التسامح الاجتماعي بين التراث والتغيير : أشرف عبد الوهاب ، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية في كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، مصر ، ٢٠٠٥ ، ٠١ .
( ٣ ) ثقافة التسامح وجدلية العلاقة بين الأنا والآخر ، حميد نفل النداوي ، المجلة السياسية والدولية العدد ٨ ، كلية العلوم السياسية ، الجامعة المستنصرية ، ٢٠٠٨ ، ٤٤١ .
( ٤ ) إعلان مبدأ التسامح (جامعة منيسوتا) .strnamuh /ude.nmu.1www / /:ptth
(٥ ) قضايا في الفكر المعاصر ، محمد عابد الجابري ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ٧٩٩١ ، ٨٢ .
( ٦ ) ثقافة التسامح وجدلية العلاقة بين الأنا والآخر ، ٤٤١ .
(٧ ) التربية على قيم التسامح : علي أسعد وطفة ، مجلة التسامح ، العدد ١١ ، سلطنة عمان ، ٥٠٠٢ ، ٩١٢ .
(٨ ) قضايا في نقد العقل الديني ، (كيف نفهم الإسلام اليوم) ، محمد أركون ، ط٢ ، ترجمة وتعليق : هاشم صالح ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، ٢٠٠٠ ، ٣٤٢
(٩ ) مفهوم التسامح في الأديان السماوية : هناء محمد حسن ، ضمن كتاب (التسامح في الديانات السماوية ، أعمال مؤتمر الأديان السنوي الأول ، بيت الحكمة ، بغداد ، ٢٠١٠ ، ٦٩ .
(١٠ ) فقه التسامح في الفكر العربي الإسلامي ، عبد الحسين شعبان ، الثقافة والدولة ، ط١ ، دار النهار ، بيروت ، ٢٠٠٥ ، ٨٥ .
( ١١ ) سورة الحجرات ٣١ .
(١٢ ) ينظر : حوار الحضارات في القرن الواحد والعشرين رؤية إسلامية للحوار : عبد الله علي العليان ، ط١ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ٢٠٠٤ ، ٧٨١
( ١٣ ) ينظر : التسامح مقولة أخلاقية ومقاربة فكرية عقائدية : نظلة أحمد الجبوري ، ضمن كتاب (التسامح في الديانات السماوية) ٧١ .
( ١٤ ) ينظر : التسامح الديني في القرآن والسنة النبوية الشريفة ، نماذج وأمثلة ، عن (مجموعة باحثين) التسامح في الديانات السماوية ، ٢٥ .
(١٥ ) فقه التسامح في الفكر العربي الإسلامي ، وليد خالد أحمد ، (بحث) في موقع كتابات ، ١ .moc.tabatiK
(١٦ ) بحث في التسامح ، نظيرة إسماعيل كريم ، موقع مركز كلكامش للدراسات والبحوث الكوردية ، ٥ .
( ١٧ ) المصدر نفسه ، ٢ .
( ١٨ ) بحث في التسامح ٢ .
( ١٩ ) فقه التسامح في الفكر العربي الإسلامي ، د عبد الحسين شعبان ٧٣
( ٢٠ ) المسيح في الإسلام : ميشال الحايك ، ط٤، دار النهار ، بيروت ، ١٩٦١، ٩٥١.
(٢١ ) المصدر نفسه ٤ .

( ٢٢) سورة الغاشية ١٢ ، ٢٢
( ٢٣) الميزان في تفسير القرآن : محمد حسين الطباطبائي ، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية ، قم المقدسة ، إيران ٣ / ٣٢١
( ٢٤) آل عمران ٩٥١ .
(٢٥ ) التسامح مقوله أخلاقية ومقاربة فكرية عقائدية : ٥٢.
(٢٦ ) سورة البقرة ٦٥٢ .
(٢٧ ) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ، ط١ ، الأمير للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٥، ٢ / ٩٥٢ .
(٢٨ ) التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام : محمد الغزالي ، الطبعة السادسة ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، مصر ، ٢٠٠٥ ، ٩٧
(٢٩ ) يونس ٢٧
(٣٠ ) البقرة ٢٧١
(٣١ ) يونس ٤٨ .
(٣٢ ) آل عمران ٢٥١ .
(٣٣ ) التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلايم : ٧٦
(٣٤ ) البداية والنهاية ، للامام الحافظ أبي الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي (ت٤٧٧هـ) ، تحقيق : علي شيري ، ط١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٨ ، ٣/ ٤٢٢ .
( ٣٥) التسامح بين الإسلام واليهودية والمسيحية ، الأستاذ الدكتور عمر عبد العزيز قريشي ، شبكة الألوكة الألكترونية ، ١ .
(٣٦ ) ينظر : معاهدات الرسول محمد صلى الله عليه وسلم دراسة الأبعاد الانسانية ، د جنيد أحمد الهاشمي ، ود شاه معين الدين الهاشمي مجلة القلم ... جون ٢٠١٣ . ٦
(٣٧ ) ينظر : معاهدات الرسول محمد صلى الله عليه وسلم دراسة الأبعاد الانسانية ٩
( ٣٨) نشأة الدولة الإسلامية ، عون شريف ، ط٢ ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، ١٩٨١ ، ٤٣
(٣٩ ) المصدر نفسه ، ٤
( ٤٠) سورة هود ١١٨ .
( ٤١) الاسلام في قفص الاتهام ، شوقي أبو خليل ، ١٢٥ .
(٤٢ ) التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام ، ١٩ .
(٤٣ ) التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام : ٥٠ .
(٤٤ ) سورة البقرة ٢٥٦ .
(٤٥ ) التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام ٥١ .
( ٤٦) المصدر نفسه ٥١ .

## روافد البحث

القرآن الكريم .
ـــ الاسلام في قفص الاتهام : شوقي أبو خليل
ـــ إعلان مبدأ التسامح (جامعة منيسوتا) humanrts/edu.umn.www1 / /:http.
ـــ الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ، ط١ ،
الأمير للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٥ .
ـــ بحث في التسامح ، نظيرة إسماعيل كريم ، موقع مركز كلكامش للدراسات
والبحوث الكوردية .
ـــ البداية والنهاية ، للامام الحافظ أبي الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ) ، تحقيق : علي شيري ، ط١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٨
ـــ التربية على قيم التسامح : علي أسعد وطفة ، مجلة التسامح ، العدد ١١ ، سلطنة عمان ، ٢٠٠٥
ـــ التسامح الاجتماعي بين التراث والتغيير: أشرف عبد الوهاب ، مركز البحوث
والدراسات الاجتماعية في كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، مصر ، ٢٠٠٥ .
ـــ التسامح بين الإسلام واليهودية والمسيحية ، الأستاذ الدكتور عمر عبد العزيز
قريشي ، شبكة الألوكة الألكترونية .
ـــ التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام : محمد الغزالي ، الطبعة السادسة ، نهضة مصر للطباعة والنشر ، مصر ، ٢٠٠٥ .
ـــ ثقافة التسامح وجدلية العلاقة بين الأنا والآخر ، حميد نفل النداوي ، المجلة
السياسية والدولية العدد ٨ ، كلية العلوم السياسية ، الجامعة المستنصرية ، ٢٠٠٨
ـــ حوار الحضارات في القرن الواحد والعشرين رؤية إسلامية للحوار : عبد الله علي العليان ، ط١ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ٢٠٠٤
ـــ فقه التسامح في الفكر العربي الإسلامي : عبد الحسين شعبان ، الثقافة والدولة ، ط١ ، دار النهار ، بيروت .
ـــ فقه التسامح في الفكر العربي الإسلامي : وليد خالد أحمد ، (بحث) في موقع كتابات ، Kitabat. com
ـــ قضايا في الفكر المعاصر : محمد عابد الجابري ، مركز دراسات الوحدة العربية ،
بيروت ١٩٩٧ .
ـــ قضايا في نقد العقل الديني ، (كيف نفهم الإسلام اليوم) : محمد أركون ، ط٢ ،
ترجمة وتعليق : هاشم صالح ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، ٢٠٠٠ .
ـــ المسيح في الإسلام : ميشال الحايك ، ط٤، دار النهار ، بيروت ، ١٩٦١ .
ـــ معاهدات الرسول محمد صلى الله عليه وسلم دراسة الأبعاد الانسانية : د جنيد
أحمد الهاشمي ، ود شاه معين الدين الهاشمي مجلة القلم ... جون ٢٠١٣
ـــ المعجم الفلسفي : جميل صليبا ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٨٢ .
ـــ مفهوم التسامح في الأديان السماوية : هناء محمد حسن ، ضمن كتاب (التسامح

في الديانات السماوية ، أعمال مؤتمر الأديان السنوي الأول ، بيت الحكمة ، بغداد ٢٠١٠ .
ـــ الميزان في تفسير القرآن : محمد حسين الطباطبائي ، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية ، قم المقدسة ، إيران .
ـــ نشأة الدولة الإسلامية : عون شريف ، ط٢ ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، ١٩٨١ .

# التعددية الدينية
# المفهوم والاتجاهات

م.د . حسام علي حسن العبيدي

كلية الشيخ الطوسي الجامعة

قسم أصول الدين

## ملخص البحث

التعددية الدينية مصطلح شاع استعماله في هذا العصر، وله معانٍ وصور مختلفة، ولكن يمكن القول أن المفهوم من التعددية الدينية قد استقر على معنى وصورة ينصرف الذهن إليها اليوم، بعد أن قام فيلسوف الدين واللاهوتي «جون هيك» بالتنظير للتعددية والذهاب بها إلى ذروة معانيها، وبعد أن روّج لها في الأوساط الإسلامية عبد الكريم سروش.

إن التعددية الدينية مسألة من مسائل فلسفة الدين، والتي تعنى بتفسير لظاهرة تعدد الأديان واستيعابها، وهي تتجاوز المنظور العملي لمبدأ التسامح والتساهل الديني، إلى تنظير بموجبه لا يكون الحق والحقيقة حكراً على دين معيّن بذاته.

ومهما قيل في أن هذه المقولة توفّر غطاءً نظرياً لإمكانية التعايش السلمي بين الأفراد والجماعات المختلفة دينياً، إلا أنه يبقى قبولها رهن بعدم تعارضها مع النصوص الدينية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، يمكن تحقيق حالة التعايش السلمي من دون اللجوء إلى هذه المقولة، خصوصاً مع ملاحظة أثرها السلبي في جانب آخر، حيث ستكون مبرراً لشيوع حالة التقاعس عن البحث والتحقيق العقائدي.

## مقدمة

الحمد لله الذي وهب للانسان عقلا ، وجعل التفكير فطرة بشرية ، فكان العقل مدارا للتشريف وللتكليف ، وبه يعاقب وبه يثيب ، والصلاة والسلام على من بعثه للبشر متمما لمكارم الاخلاق ، ونموذجا كاملا للانسانية ، يفيض لطفا ، فكان رحمة للعالمين ، وعلى آله الميامين ، أركان الحجة البالغة ، حيث كان بيانهم امتدادا موصولا بالنبوة ، الأئمة الهداة المهديين .

وبعد ...

في عالم يزخر بالصراعات والتناحرات الدينية وبكلّ أشكال العنف الديني الذي لم يكن وليد اليوم ، بل تمتد جذوره لتضرب بعيداً في أعماق تاريخ البشرية وحضاراتها ، يُلاحظ في العقود الأخيرة تنامي الوعي البشري بضرورة وأهمية إيجاد حلول ناجعة لمأزق البشرية، وبين الفينة والأخرى نجد مفردات تطفو على سطح الأدبيات الدينية ، أو في مختلف مجالات الفكر والثقافة ، منها على سبيل المثال ؛ قبول الآخر ، التسامح الديني، التعايش الإجتماعي والسلمي ، حرية الإعتقاد والتعبير ، حوار الأديان والحضارات ، وغيرها من هذا القبيل ، ومن هذه المفردات والمصطلحات « التعددية الدينية ».

للوهلة الأولى قد يُستشعر التقارب في دلالات هذه الألفاظ ، وتقارب المجالات المستعملة فيها ، بوصفها ذات مضامين يمكن صفُّها جميعها مقابل مضمون التعصب والتطرف الديني ، ولكن ما سيتكفل به هذا البحث المختصر ، هو بيان مفهوم التعددية الدينية ، بعد أن أصبحت اليوم واحدة من مسائل فلسفة الدين ، التي تعالج ظاهرة تعدد وتنوع الأديان ، وبعد أن اختلفت الآراء والتوجهات حيال مفادها ، بين مؤيد ومعارض .

وقد ارتبطت التعددية الدينية ارتباطاً وثيقاً بإثنين من المفكرين ، أحدهما غربي مسيحي لاهوتي ، وهو الذي أهتم بالتأسيس والتنظير للتعددية ، والأخر مسلم شرقي ، تلقّف مقولة التعددية بالقبول مروّجاً لها ، وكيفما كان الأمر ، دار الجدل والنقاش حولها سواء أكان في الفكر الغربي أم في الفكر الإسلامي .

**أولاً ـ دلالة التعددية في البحث الديني**

مصطلح التعدديةpluralism " « له دلالات مختلفة باختلاف المجالات التي يبحث فيها ، ففي الاخلاق تدل التعددية على لون من النسبية ورفض للثبات والاطلاق في المعايير والقيم الاخلاقية ، وفي السياسة تقترن التعددية بمفهوم الليبرالية ، بل تُعد التعددية السياسية من افرازات الفكر الليبرالي ، اما التعددية الدينية Religious pluralism "

«التي شاعت في العالم المسيحي مؤخراً ـ فهي لون من الفهم في اللاهوت المسيحي[1].

وتُبحث التعددية الدينية في مجال البحث اللاهوتي أو الكلامي بوصفها مسألة باتت اليوم من المسائل المهمة في فلسفة الدين والبحث الديني ، وليس بحثا في امكانية التعايش السلمي مع الآخر الديني وشروط قبوله من الناحية العملية ، فان هذا بحث سياسي واجتماعي[2]، وان كان التعايش سيصبح يسيرا وبشكل أكبر في ظل الأخذ بنظرية التعددية الدينية ، وبكلمة أخرى ؛ ان نظرية التعددية الدينية تشكل غطاءً نظرياً فلسفياً ولاهوتياً ـ وبامتياز ـ لأمكانية التعايش مع الآخر ، وربما جاءت من أجل ترسيخ هذا ونتيجة لظروف معينة مرّ بها العالم المسيحي ، فالبحث السياسي والاجتماعي في التعددية الدينية وان كان ذا صلة بالبحث اللاهوتي فيها ، الا انهما بحثان مختلفان مجالاً وموضوعاً .

لاريب في أن المجتمعات البشرية شهدت ظاهرة التعدد في الاديان ، إذ ظهرت أديان كثيرة في مختلف الحضارات الممتدة جذورها في العمق التاريخي للإنسان ، وقد احتدم الجدل والنقاش في امكانية قبول فكرة خلاص أتباع كل الاديان ونجاتهم وتحقيق السعادة الابدية لهم ، بل القول أيضا بحقانية[3] الاديان جميعها .

إذاً ثمة جهتان للبحث والجدل الدائر حول ظاهرة تعدد الأديان : **الاولى** تتعلق بالخلاص، وهو مصطلح شائع في الأدبيات المسيحية يُقصد به الخلاص من عذاب الآخرة و يناظره في الأدبيات الاسلامية مصطلح النجاة ، فالجدل الدائر حول هذه الجهة يتمثل بإختلاف الإجابة عن سؤال مفاده : هل النجاة والسعادة الأبدية في الحياة الآخرة من

نصيب اتباع دين معيّن ، أو لا ينحصر ذلك باتباع دين واحد؟ .

**والثانية** جهة معرفية تتعلق بتعيين وتحديد الحق والحقيقة ، ومن الجدير بالذكر أن مسألة الحق مسألة فلسفية شغلت بال الفلاسفة منذ القدم ، ومعيار التمييز بين الحق والباطل أمر يعتمد على الموقف الفلسفي من طبيعة الحق ، إذ الاختلاف والجدل قائم في الفلسفة حول فهم طبيعة الحق ، فهناك من يرى أن الحقّ مطلق يقوم مستقلا عن تجارب الانسان ، ولا يحدَّه زمان ولا مكان ، وهو صفة موضوعية من الصفات العينية التي تقوم في الموجودات مستقلة ، وبغض النظر عن وجود عقل يدركها أو عدم وجوده . ولكن هذا المذهب في فهم الحق يعارضه آخرون ينكرون وجود حق مطلق لا يتقيد بزمان ولا مكان ، ويرون أن الحقائق متغيرة وليست ثابتة[٤] . وتبعاً لاختلاف فهم طبيعة الحق تختلف معايير الحق أو مقاييس الحقيقة اختلافا كبيراً ، وتختلف أيضا تبعا لاختلاف الأنشطة المعرفية ، وما يناسب مجالا معيّنا من مجالات المعرفة البشرية قد لا يصلح معيارا للخطأ والصواب في مجال آخر، ولعلّ من أظهر معايير التمييز بين الخطأ والصواب هو معيار التطابق ، الذي قال به أرسطو ومن تابعه ، ويقصد به مطابقة الأحكام للواقع الخارجي[٥] ، والفكرة الحقيقية هي التي تصور الواقع بأمان[٦].

والجدل الدائر حول هذه الجهة المعرفية وتحديد الحق يتمثل باختلاف الإجابة عن سؤال مفاده : أيّ من الاديان يمتلك الحقانية؟ هل ينحصر الحق بدين واحد؟.

**ثانياً ـ الاتجاهات في تحديد الحقّ والنجاة**

تتمحور وجهات النظر في هاتين الجهتين على ثلاثة اتجاهات رئيسة :

**١ . الاتجاه الحصري (الاختزالي):**

ويرى أصحابه أن دينا واحدا هو الذي يتمتع بالحقانية التامة ، فالحقيقة المطلقة تنحصر في دين واحد لا غير ، وأن كانت الاديان الأخرى لها نصيب من الحقيقة الا انها لاتمتلك الحقّ المطلق ، وهكذا من جهة الخلاص والسعادة الخالدة فلا ينالها الا اتباع هذا الدين

المحدد ، مع امكان النجاة لبعض أتباع الاديان الأخرى وبشروط معينة ، على وفق وجهة نظر بعض أصحاب الاتجاه الحصري .

من الطبيعي أن يكون غالبية الناس يمثلون هذا الاتجاه ، فأتباع كلّ دين من الأديان يفهمون من تعاليم دينهم أن الحق معهم وأنهم يمتلكون الحقيقة التي تضمن لهم النجاة والسعادة .

أما تعاليم الدين الإسلامي ونصوصه ، فإن الفهم السائد لها والذي يؤكده المتكلمون والمفسرون، هو إن الدين واحد ، وهو دين الإسلام لا غير ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾[٧] ، والإسلام في عرف القرآن هو دين التوحيد الذي بُعث به جميع الأنبياء ، ولايقُصد به الإسلام بالمصطلح الذي شاع بين المسلمين بعد عصر النزول ، ولابدّ من التمييز بين الدين والشريعة ، فالدين بمعنى العقائد التوحيدية والمعارف الإلهية يكون واحداً ، والشرائع بمعنى التعاليم العملية والأخلاقية ، هي المتعددة والمختلفة تبعاً لاختلاف استعدادات وقدرات وظروف الزمان والمكان للمجتمعات ، وعلى هذا الأساس تنسخ الشرائع ، ولكن النسخ لا يكون لكلّ الأحكام والتعاليم الشرعية ، وإنما تنسخ الأحكام التي تكون ملازمة لتطور الزمان والإمكانيات ، وبعبارة أخرى ؛ إن الدين يتعلق بعقيدة الإنسان حول الله وصفاته وأفعاله فهو واحد لا يقبل الاختلاف وبعثة الأنبياء جميعهم كانت لتبليغه للناس وحملهم على الاعتقاد به ، بينما الشريعة التي هي تعاليم وأحكام غالباً ما تتعلق بتنظيم علاقات الإنسان الفردية والاجتماعية ، فهي متعددة ومختلفة ، وعلى الرغم من وجود المشتركات بينها يطال النسخ قسماً منها يكون ملازماً لمقتضيات الزمان وتفاوت الأمم والحضارات بقدراتها المختلفة[٨] .

إن عقيدة المسلمين بنسخ الشرائع تعني أنهم يُقرّون بإمكانية امتلاك الحق للأديان الرساليَّة السابقة على الإسلام ، شريطة أن تكون هذه الإمكانية لكلّ دين سابق مقيدة بقيد زماني ينتهي أمده بظهور الدين اللاحق ، وهكذا يترتب الحق للأديان تراتباً زمنياً طولياً ، ويمكن أن يُعبّر عن هذا الترتب بالتعددية الطولية .

هذا وقد يُقال إن أصحاب الاتجاه الحصري ـ بشكل عام ـ يواجهون إشكالاً ، حيث الرؤية بنجاة أتباع دين خاص تتعارض مع الايمان بالرحمة الالهية ، فكيف يعقل أن ينجي الاله الرحيم مجموعة من البشر ـ وهم الاقلية ـ ويعذّب الباقين ـ وهم الاكثرية ـ . يتحتم على الاتجاه الحصري معالجة هذا الاشكال وتوجيه ما يبدو تعارضاً للوهلة الاولى[٩]. وحيث إن العقيدة الإسلامية تقتضي القول بالتعددية الطولية للأديان السماوية الرسالية نتيجة للاعتقاد بنسخ الشرائع ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن الاعتقاد الإسلامي لا يبتني على اختزال النجاة في الآخرة لمن تمحض في معرفة العقيدة الصائبة والمحقة واعتنقها ، بل النجاة شاملة أيضاً لأولئك الذين لم تتم عليهم الحجة ، وبملاحظة هاتين الجهتين يتضح أن الإيمان الإسلامي بالرحمة الإلهية لا يتعارض مع الإيمان بأن الحق والصواب لا يكون إلا من نصيب دين الإسلام .

**٢. الاتجاه الشمولي:**

ويتمثل في رؤية فكرية انطلقت من العالم المسيحي ، وعلى وفق هذه الرؤية الشمولية فان الديانة المسيحية تحظى بالحقانية والخلاص ، ولكن السعادة الابدية يمكن أن تنال غير المسيحيين وحتى أولئك الذين لم يسمعوا باسم عيسى بن مريم (u) وتضحيته ، وعلى هذا الاساس فان الاتجاه الشمولي يشابه الاتجاه الحصري في مسألة حصر الحقانية بدين خاص (المسيحية عند أصحاب الرؤية الشمولية) ، ويفارقه من جهة القول بخلاص اتباع الديانات الأخرى ، وبهذا يتجنب الاتجاه الشمولي تلك النتيجة غير المقبولة ولا يواجه ذلك الاشكال والتعارض الذي واجهه الاتجاه الحصري ، ومن هنا ولأجل هذه الميزة للاتجاه الشمولي كان أكثر وأشهر الاتجاهات قبولاً بين اللاهوتيين المسيحيين وزعماء الكنيسة[١٠].

كان الاعتقاد الكاثوليكي السائد في القرون الوسطى بأن التعميد من قبل الكنيسة شرط حتمي لتمتع الفرد بالحياة الخالدة في الجنة وأكدت الكنيسة ذلك في اعلان فلورانس (١٤٣٥-١٤٣٨م)[١١] ، وجاء كارل رانر[١٢] (Rahner Karl) ( ١٩٠٤ - ١٩٨٤م) - على الرغم من اعتقاده أن المسيحية هي دين الحق المطلق ولا يمكن الخلاص الا عن طريقها - ليعدّ العديد من غير المسيحيين ، مسيحيين في الواقع ، فلو عاش غير المسيحيين حياة تقوى لم يرتكبوا فيها ما يتقاطع والمسيحية ، فهم مسيحيون عند الله، ويسميهم (مسيحيون مجهولون) ، وعلى هذا سيختلف معنى التبشير المسيحي وتختلف مهمته عما كانت عليه في السابق ، ستكون مهمة التبشير الجديدة لكارل رانر ، هي تعريف الخلاص وأسسه وقواعده للمسيحيين المجهولين ، انها مهمة بيان طرق الهداية ومساعدتهم للاهتداء الى المسيح ، وليس تحويلهم الى المسيحية[١٣].

يبدو أن كارل رانر ذو اتجاه شمولي يتخذ موقفاً وسطاً بين الحصريين والتعدديين ، وموقفه هذا يشكّل محطة مهمة تسبق الثورة اللاهوتية التي ادعاها جون هيك .

**٣. اتجاه التعددية الدينية:**

تحاول نظرية التعددية الدينية ايجاد أسس معرفية للقول بحقانية كل الاديان فضلاً عن القول بعدم انحصار الخلاص باتباع دين خاص ، فالجميع ناجون ، وفي ضوء هذه النظرية تكون مدعيات الاديان المختلفة تتمتع بشكل متساوٍ من الحقانية ، ولكل دين طريقه الخاص به وله الاصالة في بلوغ السعادة ، في مقابل الاتجاهين السابقين ، اذ ذهب الاول الى خلاص غيره بشروط ، وذهب الثاني الى خلاص الجميع باعتبار أن دياناتهم تمثل أبعادا مختلفة للحقيقة النهائية وفروعا للدين الحق ، بينما تكون فرص الخلاص متحققة بتكافؤ في كل الاديان لنظرية التعددية الدينية[١٤].

شاعت التعددية الدينية في الفكر الغربي والعالم المسيحي في العقود الأخيرة ، وحظيت برواج كبير في الاوساط الثقافية بجهود رائدها وداعيتها المنادي بها فيلسوف الدين المعاصر جون هيك[١٥] (Hick John ) ( ١٩٢٢م ـ ٢٠١٢م) ، اذ ادعى توصله الى مخرج وتصوير مقبول لمسألة الحقّ والنجاة والاعتبار للأديان جميعها ، وأنه اكتشف مجالاً دينياً جديداً يحدث ثورة لاهوتية تشبه ثورة نيكولاس كوبرنيكوس[١٦] ( Copernicus Nicolaus ) (١٤٧٣ ـ ١٥٤٣م) في الفلك التي أخرجت الارض من مركزيتها وثباتها وقالت بدورانها هي والكواكب الأخرى حول الشمس ، نظير ذلك ستفعل الثورة اللاهوتية فانها ستخرج المسيحية من تمركزها واعتبار نفسها مدار القيمة والخلاص الى التمحور هي وسائر الاديان الأخرى حول الله[١٧].

وعُدّت اطروحة هيك أكثر الاعمال الفلسفية اِقناعاً وترويجاً للتعددية الدينية[١٨]، ولم تكن نظريته هذه وليدة صدفة تاريخية او لحظة فكرية ، انها تمثل حصاد محاولات جادة تشكل منطلقا فكريا وقاعدة أساس للفكر المسيحي تسوّغ له مسألة التسامح الديني مع الاديان غير المسيحية ، وجاءت تلك المحاولات على خلفية الاضطهاد الديني الذي شهده المجتمع الاوربي وفضحته الحروب المذهبية والطائفية اِبان عهد الاصلاح . فكان تطور الليبرالية السياسية في القرن الثامن عشر للميلاد حافزاً مهماً لمواجهة ورفض كل أشكال الاضطهاد الديني[١٩].

وقد وجدت مسألة التسامح بين الافكار المتباينة في الدين أُولى مرتكزاتها في الليبرالية السياسية ، بيد أن التعددية الدينية تطورت تدريجياً بعد جملة ارهاصات مهدت لها ، ووجدت جذورها الاولى في كتابات شلايرماخر[٢٠](Schleiermacher)(١٧٦٨ـ ١٨٣٤ م) مؤسس البروتستانتية الليبرالية ، التي أكدت بوضوح دعم الدين لمبادئ القيم المعاصرة، واتخذت موقفا ايجابيا حيال التفسيرات غير التقليدية لكتاب المسيحية المقدس ولاسيما تلك المعنية بمسائل العلوم الطبيعية والتاريخ ، وتبنت المذهب القائل بأن جوهر

الدين هو التجربة الشخصية وليس مبدأً ثابتاً أو قانوناً كهنوتياً كنسياً محدداً أو طقساً شعائرياً اجتماعياً بعينه ، إذ أكد شلاير ماخر أن جوهر الدين مسألة لها صلة بذات الانسان وروحه وباطنه . وقد أثّرت مقولات ماخر هذه في أفكار جون هيك وهيمنت عليها[٢١].

ومن جهة أخرى كان موقف كارل رانر ذو الإتجاه الشمولي ، يمثل تقدما نحو التعددية، لكنها خطوة لاتكفي لتحقيق مايصبو اليه هيك .

**ثالثاً ـ التعددية الدينية عند جون هيك :**

يبدو أن جون هيك نفسه قد سلك مسلكا تدريجيا في نظريته التعددية ، حيث يظهر من كتاباته الاولى أنها تتركز على معنيين أو صورتين من صور التعددية الدينية[٢٢]، هما :

١ . ما يصطلح عليها ((التعددية الدينية المعيارية)) وتعني أن يتعامل المسيحيون بتسامح مع غير المسيحيين ، فهي منهج أخلاقي يُلزم المسيحيين باحترام أتباع الديانات الأخرى والتعامل معهم بطريقة التسامح الديني ، وهذا النمط من التعددية الدينية يتوقع أن يكون مرحباً به من قِبل أتباع الديانات غير المسيحية مادام يتفادى روح التغطرس الناجمة عن توجهات أتباع المسيحية ونظرتهم الى الآخرين[٢٣].

٢. ما يصطلح عليها (( التعددية الدينية الخلاصية)) وتتعلق بإشكالية الخلاص ، و لهذا المعنى من التعددية يرى هيك أن أيّاً كان الشخص يمكن أن ينال الخلاص ويدخل الجنة وبغض النظر عن عرقه ولونه ومعتقده ، شريطة أن ينتقل من مركزية الذات الى مركزية الحقيقة وان يؤدي شيئا من التعاليم الدينية ، وبعبارة أخرى ؛ مادام المرء ينشد الحق المطلق ومؤديا لبعض التعاليم الدينية فأنه ينال الخلاص . وتُعدّ هذه الصورة من التعددية أكثر تحررا من رؤية الاتجاه الشمولي ، اذ كانت الرؤية الشمولية تعدّ المقياس المسيحي هو المعيار الاساس والاصل في نيل الخلاص للآخرين ، فتتوافق الرؤيتان بامكان الخلاص لغير المسيحيين ، وتفترقان بأن الشمولية مقياسها في ذلك هو المسيحية ، بينما المدار في التعددية الخلاصية هو التمركز حول الحقيقة . وتبقى مقبولية هذه الصورة لدى الاديان

الأخرى رهن بمدى محدودية أو شمولية فكرة الخلاص لديهم ، فمثلا على وفق تعاليم الاسلام ينبغي التعامل مع ابناء البشرية كافة بمبدأ امكانية الخلاص لهم عند عدم تمامية الحجة عليهم[٢٤].

وظلّ هيك ولسنوات عديدة يسلط الاضواء على صورة ثالثة من التعددية الدينية ليرسو في نهاية المطاف بتعدديته الى ذروة معانيها ، انها ((التعددية الدينية المعرفية)) التي تفترض عدم انحصار الحقيقة بدين معين ، فكل الاديان تتمتع بجانب من الحقيقة المطلقة[٢٥]، وأن متابعة أيّ منها يمكن أن يكون وسيلة للخلاص . والحق الأعلى واحد الا أن تعدد معناه عند البشر نابع من تعدد تجليه وظهوره في مختلف الثقافات والحضارات ، والذي عبّرت عنه أديان العالم الكبرى بأرثها المعرفي والروحي ، وليس المقصود منح المشروعية لأيّة معرفة أو تجربة مع الله[٢٦].

ويعطي هيك أهمية كبيرة للتجربة الدينية الروحية في تكوين معرفة الله ، بل ليس الدين سوى تفسير أو تأويل للتجارب الدينية المتراكمة داخل بيئة حضارية وثقافية خاصة . والاديان جميعها تتساوى وتتماثل في ثمارها الاخلاقية والروحية[٢٧].

ويستلهم هيك في بنائه المعرفي للتعددية من النموذج الكانتي في المعرفة ، إذ إن «كانت»[٢٨] ( Kant ) (١٧٢٤م ـ ١٨٠٤م ) قد ميّز بين (الشيء في ذاته) وبين (الشيء كما يبدو ويظهر لنا) ، والذي يتسنى لنا معرفته هو ظاهر الشيء دون حقيقته الواقعية (الشيء في ذاته) ، لذلك لابد للمعرفة أن تلتزم بالتجربة وليس لها سبيل الى الحقيقة الخفية ما دامت هذه الحقيقة عصيّة عن التجربة الحسية ، و ينتهي « كانت » الى القول بأن فكرة وجود الله هي فكرة خارج حياض المعرفة لأنها خارجة عن ميدان الدليل التأملي أو التجريبي ، لكنها ضرورة أخلاقية يفرضها القانون الاخلاقي نفسه[٢٩].

هذا ولابد من ملاحظة اختلاف هيك عن «كانت» وتبعاً لاختلاف مرادهما وأهدافهما، اذ عمل هيك على اثبات أن الله ليس مجرد ضرورة أخلاقية ، بل هو أيضا حقيقة وجودية

واقعية قابلة للاختبار والادراك وبهذا يكون قد وسّع من موضوع التجربة المعرفية التي حصرها « كانت »بالتجربة الحسية ، وقد صنّف هيك التجربة الانسانية على ثلاثة أصناف : التجربة الطبيعية ، التجربة الاجتماعية ، والتجربة الروحية التي تعبّر عن التجربة الانسانية مع الحقيقة الالهية[٣٠].

تلكم هي التعددية الدينية التي بشّر بها جون هيك ، وراج الحديث والسجال عنها مؤخرا في الاوساط الثقافية الاسلامية ، بعد أن دعا اليها ونادى بها عبد الكريم سروش حيث تبنى نظرية هيك وأعاد قراءتها لمبانيه ونظرياته الأخرى في فلسفة الدين[٣١] .

**رابعاً ـ التعددية الدينية عند سروش:**

كتب عبد الكريم سروش[٣٢] مقاله عن التعددية تحت عنوان (الصراطات المستقيمة ، قراءة جديدة لنظرية التعددية الدينية )[٣٣] . حيث تتشكّل رؤيته لظاهرة تعدد الأديان في العالم ، من خلال وصفه لهذه الظاهرة بأنها أمر طبيعي يعكس في طياته حقانية كثير من الأديان ، وأن كثيرا من المتدينين محقّون في اعتناقهم لأديانهم ، أي كلٌ منهم محقّ في اعتناق دينه ، ولا يعزو هذا التعدد إلى سوء الفهم أو مؤامرة قوى الباطل أو سوء اختيار الإنسان، بل أن التعدد والاختلاف ناجم عن مقتضى إدراك البشر وتعدد أبعاد الواقع[٣٤].

ويرى سروش أنه يمكن الحديث عن التعددية من جانبين : **الأول** يتعلق بذكر الأسباب و العلل للتعددية واختيارها منهجا في بعض المجتمعات البشرية ، و **الثاني** يتعلق بالأدلة والبراهين التي يستعان بها في توضيح صواب اختيار المنهج التعددي[٣٥].

وقد قدّم أدلة عشرة حاول من خلالها البرهنة على حقانية مقولة التعددية على المستوى الثقافي والديني ، ويصنّفها على صنفين : **الأول** يشمل أربعة من الأدلة يسمّيها «ايجابية»لأنها تؤدي الى تعددية أصيلة مبتنية على أساس الاقتدار الفكري لدى الانسان، وامتلاكه لإمكانيات معرفية واسعة ، ولأن المتون والتجارب الدينية بطبيعتها تحتمل تفاسير متعددة[٣٦]، لذا فالتعددية الايجابية أصيلة لأنها تبتني على الكثرة الواقعية والتنوع

في البدائل غير القابل للاختزال ، إذ التباين فيما بينها تباين ذاتي . **والثاني** يشمل ستة من الأدلة يسمّيها «سلبية» لأنها لا تدلّنا على تعدد أصيل ، بل تدلّ على حالة من التنوع لا يمكن اجتنابها[٣٧]، فهي سلبية بلحاظ أنها تنفي قابلية الاجتناب عن التعدد ، في حين كانت الايجابية مثبتة للكثرة في ذاتها وفي واقعها .

كان «جون هيك» يفترض أن كلّ دين يتمتع بجانب من الحقيقة مؤكداً أن هذا لايعني منح المشروعية والحقانية لأية معرفة أو تجربة دينية ، إنما الأديان الكبرى ذات الإرث المعرفي والروحي هي التي تمتلك جوانب الحقيقة المطلقة ، أما سروش فإنه يصرّح بقوله:

**(( إننا في التعددية لا نتحدث عن صحة جميع الدعاوى الموجودة وتساوي المقولات والتعاليم الدينية في جميع الأطراف وأن كلّ قول هو الحق ، فهذا الكلام باطل بالبداهة ولا يمثل رأينا ولا يوجد عاقل يذهب الى هذا القول.))**[٣٨]

ويؤكد أن الكلام عن الأديان التي خرجت من بوتقة الاختبار ووصلت الى مرتبة تكافؤ الأدلة ، بحيث لا يمكن للعقل المنطقي والفلسفي أن يحكم جازما ببطلانها ، فهي التي تصمد في ساحة التمحيص والاختبار ويعجز العقل عن الترجيح من بينها بعد تكافؤ الأدلة وعندئذ يمكن القول بحقانية أتباعها وأنهم مهتدون وناجون[٣٩] .

ويبدو أن من أهم مرتكزات مقولة التعددية الدينية عند سروش ، هي مسألة الملازمة بين الهداية والحقانية في الأديان ، اذ يرى أنّ مفاهيم «الهداية» و «النجاة» و «السعادة» مفاهيم متساوقة المراد منها ما يتحقق للإنسان في الحياة الآخرة ، ومع فرض أن الحق واحد كما يقول به أصحاب الاتجاه الحصري ، فإنه لا يرى داعياً لأن نشترط للنجاة والسعادة ، شرط الوصول الى الحق في هذه الدنيا ، مادام الانسان الذي لم يصل الى ذلك الحق الواحد قد عمل باخلاص وبقدر وسعه وطاقاته البدنية والعقلية ، إن النجاة منوطة بالتحرك على الصراط للوصول الى الحق ، وهذا الصراط يمكنه أن يوصل الانسان الى المقصود ، إما عاجلا في هذا العالم ، أو آجلا في العالم الآخر ، إذ لا مانع من رؤية الحق في العالم الآخر

بالنسبة للأشخاص الذين يتحركون بإخلاص وبذلوا وسعهم للوصول الى الحق ، فإن لم يدركوه في هذه الدنيا ، سيدركوه ويرون الحقيقة في الآخرة ومن ثمَّ يحصلون على السعادة والنجاة في نهاية الأمر ، ولذلك يمكن اعتبارهم من المهتدين[٤٠] .

و الملاحظة أو المناقشة واردة عليه هاهنا ، بأن النجاة الأخروية أمر يحصل ربما لعدم تمامية الحجة على بعض الناس ، فكيف سيكون الناجي لمعذوريته مهتديا الى الحق ، والحال أن مفهوم الهداية يتطلب أن يكون هناك شيء يهتدى اليه ، أيّ إن مفهوم الهداية يعني الوصول الى الحق في هذه الدنيا ، وهذا الوصول هو من صميم معنى الهداية وليس شرطا لها ، وإلا فالناس جميعهم سيدركون الحق والحقيقة في العالم الآخر ومنهم أولئك المعاندون الذين لم يكن لهم تحرّك في طريق طلب الحق ، وبعبارة أخرى ؛ إن الهداية في الدنيا شرط لتحقق النجاة في الآخرة ، ولكن ليس النجاة في الآخرة شرطا لتحقق الهداية في الدنيا ، واما الهداية في الآخرة أمر لامعنى له بعد فرض أن الآخرة هي عالم انكشاف الحقائق .

## خاتمة

تلك هي نظرية التعددية الدينية بأبعادها وصورها التي تشكّلت نتيجة لمرورها بمخاضات فكرية وإرهاصات ممهّدة يرافقها جدل تارة يكون من داخل الدين ، وتارة أخرى يكون من خارجه ، وأخيراً يمكن إدراج أهم النتائج ضمن الآتي :

أولاً ـ يبدو أن مفهوم التعددية الدينية مفهوم معاصر لا يعني إمكانية التعايش الاجتماعي السلمي بين أتباع الديانات المختلفة وحسب ، بل هو يتجاوز الجانب العملي للتعايش وقبول الآخر الديني إلى أبعد من ذلك ، حيث يتضمن جنبة معرفية وتقييمية تعطي الحق والصواب لأتباع الديانات ذات الإرث الروحي والحضاري ، أو الديانات ذات الأدلة المتكافئة بحسب زعم بعض منظري التعددية الدينية .

ثانياً ـ إن قبول مقولة التعددية الدينية وإن كان يترتب عليه آثار اجتماعية واضحة في تخفيف حدّة الصراعات والتنازع الديني والمذهبي ، وتحقيق التعايش السلمي بين الأفراد والجماعات المختلفة دينيا ، وتكوين ثقافة قبول الآخر الديني ، إلا أنه يبدو من الواضح جلياً عدم الحاجة إلى هذا التنظير ، وإلى التخلي عن مسائل تقتضيها العقيدة الدينية ، وبشكل خاص العقيدة الإسلامية ، بعد أن كانت التعاليم الإسلامية تسمح بتحقيق التعايش مع الآخر الديني .

ثالثاً ـ يمكن أن يكون قبول مقولة التعددية الدينية مبررا لشيوع حالة التقاعس عن البحث والتحقيق العقائدي ، والتخلي عن المسؤولية الكاملة التي ينبغي أن يتحملها الانسان في أهم أمر يخصّه ، ألا وهو الدين والاعتقاد الديني وما يترتب عليه من سلوك وعمل .

رابعاً ـ الملاحظ على المبشرين بالتعددية الدينية والمنظّرين لها أنهم يركّزون جهدهم في النظر من خارج الدين والنص الديني ، ولكن تبقى مدى مقبولية مقولتهم رهن بالتعاليم والنصوص الدينية ( لأيّ دين كان ) ، والأمر يحتاج الى دراسات وبحوث للتحقق من مدى قبول أتباع الأديان لهذه المقولة مع التزامهم بأحكام يفرضها عليهم تديّنهم ، وهل الواقع الديني للأديان جميعها يسمح بمثل هذه التعددية الدينية !!؟ .

## الهوامش

(١ ). ينظر : لغنهاوزن ، د.محمد ، مقاربات في مفاهيم التعددية والنبوة والهداية ، حوار منشور في مجلة قضايا اسلامية معاصرة ، سنة١١ ، عدد٣٣ـ٣٤ ، ٢٠٠٧ ، ص٢٥٥ .

(٢ ). ينظر : قانصو ، د.وجيه ، التعددية الدينية في فلسفة جون هيك ، الدار العربية للعلوم ـ ناشرون، ط١ ، بيروت ، ٢٠٠٧ ، ص١١ .

(٣ ). الحقانية مشتق من ( الحقّ ) ، وهو اشتقاق على خلاف القياس ، يوحي ويشعر بصلاحية وصف الأشياء بالحقّ ( بمعنى الصواب ) ، وقد شاع استعماله في الكتابات التي تتحدّث عن التعددية الدينية .

(٤). ينظر : الطويل ، د.توفيق ، أسس الفلسفة ، ص٣٨٩ وص ٣٩١ .

( ٥). ينظر : المصدر نفسه ، ص٣٩١ .

(٦ ). ينظر : سعادة ، د. رضا ، الفلسفة ومشكلات الانسان ، ط١ ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، ١٩٩٠، ص٤٢ .

(٧ ) آل عمران / ١٩

(٨). ينظر : الطباطبائي ، محمد حسين ، الميزان في تفسير القرآن ، ج٣ ، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية ـ قم المقدسة ، ص١٢٠و١٢١و٢٧٩ . وأيضاً : السبحاني ، جعفر ، التعددية الدينية نقد وتحليل ، مقال ترجمته ونشرته مجلة «التوحيد» في العدد١٠٥ ، السنة ١٩ ، خريف٢٠٠٠م ، واعيد نشره ضمن كتابه رسائل ومقالات ، ج٢ ، ط١ ، مؤسسة الامام الصادق ﷺ ، قم ، ١٤٢١هـ ، ص ٢٩٦ـ٢٩٨ .

(٩). ينظر: رضائي ، د. محمد ، التعددية الدينية نقد وحل ، ترجمة علي آل دهر الجزائري ، بحث منشور في مجلة نصوص معاصرة عدد١٩ ، سنة٥ ، ٢٠١٠ ، ص١٢٥ ، وأيضا : بهرامي ، محمد ، التعددية الدينية في القرآن الكريم ، ترجمة علي المدن ، دار الهادي ، ط١ ، بيروت ، ٢٠٠٥ ، ص١٧ .

(١٠). ينظر: رضائي ، د. محمد ، التعددية الدينية نقد وحل ، مجلة نصوص معاصرة عدد ١٩ ، ص١٢٦ . وقارن : بهرامي ، محمد ، التعددية الدينية في القرآن الكريم ، ص١٨ .

(١١). ينظر: رضائي ، د. محمد ، التعددية الدينية نقد وحل ، مجلة نصوص معاصرة عدد ١٩ ، ص١٢٥ ، وأيضا: لغنهاوزن ، د.محمد ، مقاربات في مفاهيم التعددية والنبوة والهداية ، حوار منشور في مجلة قضايا اسلامية معاصرة ، عدد٣٣ـ٣٤ ، ص٢٥٧ .

(١٢). لاهوتي كاثوليكي ألماني كان لآرائه أثر كبير في تجديد الفكر المسيحي خلال القرن العشرين.( ينظر: ويكيبيديا، الموسوعة الحرة ، http://www.en.Wikipedia.org . ) .

( ١٣). ينظر : لغنهاوزن ، مقاربات في مفاهيم التعددية والنبوة والهداية ، مجلة قضايا اسلامية معاصرة ، عدد٣٣ـ٣٤ ، ص٢٥٧ ، وايضا : كتابه الاسلام والتعددية الدينية ، دار الفكر الجديد ، العراق ـ النجف الاشرف ، ص٤٨ ، وكذلك : الكلبايكاني ، علي رباني ، تعدد الاديان .. وطريق الحل ، موقع الضياء

الالكتروني(www.aldhiaa.com)، وكذلك : قانصو ، د.وجيه ، الأنا والآخر في الوعي الديني ، مقالة منشورة في ١٧/ ١١/ ٢٠٠٩ في ملتقى ابن خلدون الالكتروني(www.ebn-khaldoun.com) .

(١٤). ينظر: رضائي ، د. محمد ، التعددية الدينية نقد وحل ، مجلة نصوص معاصرة عدد ١٩ ، ص١٢٧ـ ١٢٨ ، وقارن : بهرامي ، محمد ، التعددية الدينية في القرآن الكريم ، ص١٨ .

(١٥). ولد جون هيك في بريطانيا عام ١٩٢٢م ، درس أولاً المحاماة في جامعة هول ، وفي عام١٩٤١ انخرط في جامعة ايدنبورغ لدراسة الفلسفة واثناء دراسته للفلسفة ادرك أهمية فلسفة « كانت » وتعرّف على نظريته في الدين ، وبعد اكمال الدكتوراه درس اللاهوت في كامبريدج مدة ثلاث سنوات ، وفي عام ١٩٥٧ صار استاذا مساعدا في فلسفة الدين بجامعة كورنيل ، عام ١٩٥٩ انتقل الى معهد برينستن للتعليم اللاهوتي في ولاية نيوجرسي في الولايات المتحدة الاميركية كاستاذ في الفلسفة المسيحية ، في١٩٦٢ واثر جدل دار حول قبول عضويته في الكنيسة المشيخية هناك ، لمناقشته قصة الولادة العذرية للسيد المسيح ، بدأ هيك بالانزياح تدريجيا عن قناعاته الدينية المحافظة والاستجابة لتساؤلات دينية معاصرة كان أهمها معضلة التعددية الدينية في العالم . (راجع : قانصو ، د.وجيه ، التعددية الدينية في فلسفة جون هيك ، ص١٩ـ ٢٩) .

(١٦) هو الراهب وعالم الرياضيات والفيلسوف الفلكي البولندي الذي ترجع شهرته الى تبنيه فكرة مركزية الشمس وأن الأرض جرم يدور في فلكها ، وبهذا يكون مناهضاً لتعاليم بطليموس عن مركزية الأرض ، والتي ظلت وقتاً طويلاً غير قابلة للطعن ، وقد تخطت نظرية كوبرنيكوس حدود الفلك لتؤثر في الدين والسياسة والفلسفة ، إذ الكنيسة تبنت ودعمت نظرية بطليموس وجعلت مجرد التشكيك فيها كفراً ، وكوبرنيكوس نفسه كان رجل دين . ( راجع : ويكيبيديا ، الموسوعة الحرة ، http://www.ar.Wikipedia.org . ) .

(١٧). ينظر : قانصو ، د.وجيه ، التعددية الدينية في فلسفة جون هيك ، ص٦٠ .

(١٨). ينظر : المصدر نفسه ، ص١٦ ، وأيضا : رضائي ، د. محمد، التعددية الدينية نقد وحل ، مجلة نصوص معاصرة عدد ١٩ ، ص١٢٧ـ ١٢٨ .

(١٩). ينظر: لغنهاوزن ، محمد ، الاسلام والتعددية الدينية ، ص١٣ و١٥ و٢٠ .

(٢٠). لاهوتي ألماني كان واعظا أكثر منه فيلسوفا درّس اللاهوت في عدة جامعات آخرها جامعة برلين.( راجع : برهييه ، أميل ، تاريخ الفلسفة ، ترجمة جورج طرابيشي ، الكتاب السادس ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٨٥، ص٢٧٤ ) .

(٢١). ينظر: لغنهاوزن، محمد ، الاسلام والتعددية الدينية ، ص٢٥ـ ٢٦ .

(٢٢). ينظر: رضائي ، د. محمد ، التعددية الدينية نقد وحل ، مجلة نصوص معاصرة عدد ١٩ ، ص١٢٨،

وايضا : لغنهاوزن ، محمد ، الاسلام والتعددية الدينية ، ص٤٤ .

(٢٣). ينظر: ليكنهاوزن ، محمد ، الاسلام والتعددية الدينية ، ص٤٣ ، وايضا: رضائي ، د. محمد ، التعددية الدينية نقد وحل ، مجلة نصوص معاصرة عدد ١٩ ، ص١٢٨ .

(٢٤). ينظر: ليكنهاوزن ، محمد ، الاسلام والتعددية الدينية ، ص٤٤و٤٨ ، وايضا: رضائي ، د.محمد ، التعددية الدينية نقد وحل ، مجلة نصوص معاصرة عدد ١٩ ، ص١٢٨ .

(٢٥). ينظر : الكلبايكاني ، علي رباني ، تعدد الاديان ..وطريق الحل ، موقع الضياء الالكتروني .

(٢٦). ينظر : قانصو ، د.وجيه ، التعددية الدينية في فلسفة جون هيك ، ص٣٩و٩٩ .

(٢٧). ينظر : المصدر نفسه ، ص٣٩ .

(٢٨) . فيلسوف ألماني من أبرز فلاسفة العصر الحديث في أوربا ، كان لآرائه تأثير بفلسفات جاءت بعده في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر للميلاد . ( راجع : الموسوعة الفلسفية المختصرة ، نقلها عن الانكليزية فؤاد كامل وآخرون ، منشورات مكتبة النهضة ، بغداد ، ص ٣٢٩ وما بعدها ) .

(٢٩). ينظر : المصدر نفسه ، ص٨١ ـ ٩٠ .

(٣٠). ينظر : المصدر نفسه ، ص٩١ .

(٣١). يذكر أن المفكر الاسلامي الباكستاني فضل الرحمن (١٩١٩ ـ ١٩٨٨م) ، قد تحدث أيضا عن تعدد الصراط المستقيم وعن أفكار من شأنها الترويج للتعددية الدينية ، وكان أستاذا للفكر الاسلامي المعاصر في جامعة شيكاغو في الولايات المتحدة الاميركية . (راجع : ليغنهاوزن ، د.محمد ، مقاربات في مفاهيم التعددية والنبوة والهداية ، مجلة قضايا اسلامية معاصرة ، عدد٣٣ ـ٣٤ ، ص ٢٧٨ ، وأيضا : ويكيبيديا ، الموسوعة الحرة ، http://www.ar.Wikipedia.org ) .

(٣٢) . عبد الكريم سروش اسم استعاره الدكتور حسين حاج فرج الدباغ لنفسه ، وهو من مواليد طهران عام ١٩٤٥م ، أنهى دراسته في كلية الصيدلة جامعة طهران عام ١٩٦٨م ، ثم سافر الى بريطانيا عام ١٩٧٢م والتحق بجامعة لندن في فرع الكيمياء راغبا في اكمال دراسته العليا في الكيمياء التحليلية ، درس أولاً في هذا الفرع ثم انتقل الى فرع الفلسفة لدراسة فلسفة العلم . وبعد اكمال دراسته في الفلسفة عاد الى ايران عام ١٩٨٠م ، وبعد عودته التحق بجامعة طهران فنال شهادة الدكتوراه في الفلسفة الاسلامية ، ظهر سروش منذ أوائل الثمانينات بنتاجه الغزير على الساحة الفكرية في ايران وعالجت نتاجاته الاولى النظريات الماركسية وموضوعات فلسفة العلم ، ومن أبرز أعماله في تلك الفترة كتابه (ماهو العلم ، ماهي الفلسفة) ، فكان التغيير المفاجئ في أفكاره قد حصل عام ١٩٨٩م ومنذ أن بدأ بكتابة مقالاته التي أسماها (القبض والبسط في الشريعة).( راجع : محمدي ، مجيد ، اتجاهات الفكر الديني المعاصر في ايران ، ترجمة ص.حسين ، ط١، الشبكة العربية للأبحاث والنشر ، بيروت ،٢٠١٠، ص٣٠٩ ، وأيضا : خليفة ، عبد الله ، دلالات أفكار عبد الكريم سروش ، صحيفة آرام الالكترونية ، ١٠/ ١٠/ ٢٠٠٩ ، http://

. ( www.aaram.net

(٣٣). نُشرت هذه المقالة الموسعة في صحيفة (كيهان) الشهرية ، ثم طُبعت في كتاب ـ وهو الآن مترجم الى العربية ـ يتضمن أيضا ردود الافعال والسجالات التي أُثيرت حول المقالة مع اجاباتها . أُعيد نشر المقال في مجلة (نصوص معاصرة) الصادرة من بيروت وتحت عنوان (الطرق المستقيمة ، قراءة في التعددية الدينية) ، رغم انها نشرت من قبل ، وذلك بسبب بعض التحفظات على النص الذي نشرت فيه ، إذ حذفت بعض المقاطع من ذلك النص ، أو لم تكن الترجمة دقيقة ، فأُعيد النظر في الترجمة مع مزيد تدقيق.( ينظر : حب الله ، حيدر ، هامشه على ترجمته (الطرق المستقيمة) ، مجلة نصوص معاصرة ، سنة٢، عدد٥ ، ٢٠٠٦ ، ص١٤٤.) .

(٣٤). ينظر : سروش ، د. عبد الكريم ، ترجمة أحمد القبانجي ، الصراطات المستقيمة ، دار المنصور ، بغداد ، ص٣.

(٣٥). ينظر : المصدر نفسه ، ص١١ .

(٣٦). ينظر : المصدر نفسه ، ص٣٩ .

(٣٧). ينظر : المصدر نفسه ، ص٤٠ .

(٣٨). المصدر نفسه ، ص١٣٣ .

(٣٩). ينظر : المصدر نفسه ، ص١٢٠ ـ ١٢١ .

(٤٠). ينظر : المصدر نفسه ، ص١٢٢ وص١٣٩ ـ ١٤٠

## المصادر


**القرآن الكريم**

برهييه ، أميل :
تاريخ الفلسفة ، ترجمة جورج طرابيشي ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٨٥ .

بهرامي ، محمد :
التعددية الدينية في القرآن الكريم ، ترجمة علي المدن ، دار الهادي ، ط١ ، بيروت ، ٢٠٠٥ .

حب الله ، حيدر :
هامشه على ترجمته (الطرق المستقيمة) ، مجلة نصوص معاصرة ، السنة الثانية ، عدد٥ ، ٢٠٠٦ .

رضائي ، د. محمد :
التعددية الدينية نقد وحل ، ترجمة علي آل دهر الجزائري ، بحث منشور في مجلة نصوص معاصرة ، عدد١٩ ، السنة الخامسة ، ٢٠١٠ .

السبحاني ، جعفر :
التعددية الدينية نقد وتحليل ، مقال ترجمته ونشرته مجلة «التوحيد» في العدد١٠٥ ، السنة ١٩ ، خريف٢٠٠٠م ، واعيد نشره ضمن كتابه رسائل ومقالات ، ج٢ ، ط١ ، مؤسسة الامام الصادق عليه السلام ، قم ، ١٤٢١هـ .

سروش ، د . عبد الكريم :
الصراطات المستقيمة ، ترجمة أحمد القبانجي ، دار المنصور ، بغداد ، بلا تاريخ.

سعادة ، د. رضا :
الفلسفة ومشكلات الانسان ، ط١ ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، ١٩٩٠ .

الطباطبائي ، محمد حسين :
الميزان في تفسير القرآن ، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية ـ قم المقدسة ، بلا تاريخ .

الطويل ، د. توفيق :
أسس الفلسفة ، ط٦ ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٦ .

فؤاد كامل وآخرون نقلوا عن الانكليزية :
الموسوعة الفلسفية المختصرة ، منشورات مكتبة النهضة ، بغداد ، بلا تاريخ .

قانصو ، د. وجيه :
التعددية الدينية في فلسفة جون هيك ، الدار العربية للعلوم ـ ناشرون ، ط١ ، بيروت ، ٢٠٠٧ .

لغنهاوزن ، محمد :
الإسلام والتعددية الدينية ، دار الفكر الجديد ، العراق ـ النجف الاشرف ، بلا تاريخ .

مقاربات في مفاهيم التعددية والنبوة والهداية ، حوار منشور في مجلة قضايا إسلامية معاصرة ، سنة١١ ، عدد٣٣ـ٣٤ ، ٢٠٠٧ .

محمدي، مجيد :
اتجاهات الفكر الديني المعاصر في ايران، ترجمة ص.حسين ، الشبكة العربية للابحاث والنشر، ط١ ، بيروت ، ٢٠١٠ .

البحوث والمقالات المنشورة في شبكة المعلومات العالمية (الإنترنت) :

خليفة ، عبد الله :
دلالات أفكار عبد الكريم سروش ، صحيفة آرام الالكترونية ، ١٠/ ١٠/ ٢٠٠٩ . http://www.aaram.net .

قانصو ، د. وجيه :
الأنا والآخر في الوعي الديني ، مقالة منشورة في ١٧/ ١١/ ٢٠٠٩ في ملتقى ابن خلدون الالكتروني . http://www.ebn-khaldoun.com .

الكلبايكاني ، علي رباني :
تعدد الاديان .. وطريق الحل ، موقع الضياء الالكتروني . http://www.aldhiaa.com .

ويكيبيديا، الموسوعة الحرة . http://www.ar.Wikipedia.org .

http://www.en.Wikipedia.org .